الـــــدين

فـــي القصة العبرية الحديثة

أعمـــال يهودا بورلا نموذجـــاً

د . عبد الله الدوســري

يهودا بورلا حياته وأعماله (1886 – 1969)

ولد يهود برولا في القدس عام 1886 ألف وثمانمائة وستة وثمانين لأسرة من طائفة اليهود السفارديم . وأصل أسرة بورلا من أزمير في تركيا . وقد نزحت هذه الأسرة إلى القدس منذ حوالي ثلاثمائة عام . و يزعم بورلا أن أسرته كانت في الأصل من اليهود الذين طردوا من اسبانيا [1] ، و كان كثيراً ما يتحدث من ماضي أسرته باعتزاز و فخر . و كأمثاله من أبناء الأسر المتدينة المحافظة تلقي بورلا تعليماً يهودياً تقليدياً ، فدرس في طفولته في مدرسة ابتدائية " دورشي تسيون " (و عاظ صهيون) ثم التحق " باليشيفا" (الخاصة باليهود السفارديم) تفئيرت يروشلايم (فخر أروشيم) . ولكنه ما إن سمع بافتتاح معهد عزرا للمعلمين حتى ترك اليشيفا و التحق بالمعهد في سن الثامنة عشرة و هو في المرحلة الأخيرة من الدراسة فيها ، و كان على وشك الحصول على لقب (رب) [2] ، و بعد تخرجه من معهد المعلمين الذي أمضى فيه ست سنوات ، انطلق بورلا يخوض غمار الحياة العملية ، و قضى الشطر الأعظم منها ، و هو خمسة وثلاثون عاماً ، في التدريس . ولم تكن سنوات التدريس تلك متواصلة ، بل تخللتها فترات انقطاع مارس بورلا خلالها عدداً من المهن ، وتقلد فيها عدداً من المناصب ، وقام في أثنائها ببعض المهام ، فقد خدم أثناء الحرب العالمية الأولى مترجماً في الجيش التركي . ثم تولى إدارة المدارس العبرية ي دمشق لمدة خمس سنوات . ثم عمل في التدريس في كل من القدس وحيفا وتل أبيب ، وابتداء من عام 1930 تولى رئاسة الدائرة العبرية في الهستدورت (اتحاد العمال اليهود في فلسطين) لعدة سنوات ، كما

---

[1] حاييم ليب " يهودا بورلا على درخيه يتصيرتو " (مقابلة صحفية) في جريدة " هادوأر" (نيويورك ، 1946) ، العدد 5 ص 125 ، و انظر أيضاً أ . بن أور ، توليدوت هاسفروت هاعفريت بدوةرينو .
(تل أبيب ، 1955) ، ج 2 ص ص . 75-76 ، و انظر ايضاً يهود بورلا / " زخرونوت عل كيفر راحيل " في محنايم (تل أبيب ، 1962) ، ج 69 69-73 العدد 71 ص 70 ، و انظر يهودا بورلا ، " ميتولدوتاي " في شلوشا سيبوريم . (القدس ، 1964) ، ص 41 ، و انظر أيضاً روت بوندي ، " عخشاف منحيل بيريك حداش " (مقابلة صحفية في الملحق الأردني لجريدة دفار – تل أبيب / 1968/5/12) ص 7 ، و انظر أيضاً ر . كريتس ، يهودا بورلا : يلكوت سيبوريم (تل أبيب ، 1975) ص 7 ، و انظر أيضاً ،
Risa Domb , The Arab in Hebrew porse 1911-1948 London , 1982, P 49

[2] حاييم ليب المصدر السابق / و انظر أيضاً أ . بن أور المصدر السابق ص 76 و انظر أيضاً Risa Domb المصدر السابق .

أرسل إلى دول أمريكا اللاتينية من قبل الصندوق اليهودي عام 1946 ، وعين بعد ذلك مديراً للشئون العربية في وزارة الأقليات عام 1948 [3].

ولا شك أن أسرة بورلا بما بما اتصفت به من عراقة الأصل والأرستقراطية الدينية بالإضافة إلى الوظائف الكثيرة التي شغلها وأتاحت له فرصة السفر ، كل ذلك قد أمده بمادة جيدة للكتابة على مستوى الشخصيات وكذلك على مستوى الموضوعات والقضايا التي عالجتها أعماله القصصية ، ويضاف إلى ذلك بيئة القدس الفريدة التي كان لها دور في إعداد يهودا بورلا ، إذ كانت على المستوى اليهودي الضيق مكان تجمع ليهود الشتات على اختلاف طوائفهم وجنسياتهم أما على المستوى الإنساني الأرحب فكانت القدس مدينة تلتقي فيها الأديان السماوية الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية والإسلام .

كما كانت تضم أجناساً متباينة من البشر [4] .

ولم تكن الاجتماعية وحدها هي العامل المؤثر في إعداد يهودا بوصفه كاتباً قصصياً ، بل كانت لقراءاته الواسعة في الأدب الفرنسي ،والروسي مترجماً إلى الألمانية والعبرية الفضل الأكبر في إذكاء موهبته القصصية ، فقد تأثر بأسلوب مكسيم جوركي في تصوير الفقراء والبائسين [5] . إلا أن قراءة بورلا لأعمال مشاهير القصاصين العبرانيين أمثال : مندله موخير سفاريم [6] . ويتسحاك ليب بيرتس [7]

---

[3] أ. أور المصدر السابق ص 76 – 77 .
وانظر أيضاً ر . كريتس المصدر السابق ص ص . 7 – 8 ، وانظر أيضا Encyclopaedia Judaica 1524 . 1524 Vol. 49 Col . (Jerusalem, 1971)

[4] أ. بن أور ، المصدر السابق ص 75 ، وانظر أيضا ج . ياردیني " سوفريم بعل به : يهودا بورلا " في موزنايم " ج 11 ، العدد (تل أبيب ، 1960) ص 127 .

[5] حاييم ليب ، المصدر السابق ، وانظر أيضاً ، ج ، ياردیلي ، المصدر السابق ص 127 .

[6] (1836 - 1918) مندله موخير سفارديم) وتعني " مندله بائع الكتب " وهو الاسم المستعار لشالوم يعكوف أبراموفيتش ، وهو كاتب يهودي صور الحياة اليهودية التقليدية داخل " الجيتو " في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي متناولا كل ما شاب تلك الحياة من أمور سلبية بأسلوب نقدي ساخر . كتب قصصه في أول أمره باليديش ثم تحول إلى الكتابة بالعبرية . وقد صاقبت حياة مندله جميع فترات الأدب العبري الحديث مما حدا بمؤرخي الأدب العبري الحديث إلى أن يلقبوه بـ " جد الأدب العبري الحديث " .

[7] (1853 – 1915) كاتب قصة قصيرة من الطراز الأول وقد عالج هذا الفن باللغتين اليديش العبرية . وقد سيطرت على كتاباته النزعة إلى إعادة تقييم حركة الحسيدية إبان فترة النهضة وظهور الشعور القومي اليهودي وكذلك الرغبة في الإعلاء من شأن هذه الحركة . كما تميزت كتاباته بالإغراق في الرمزية المستمدة من الموروث الشعبي اليهودي .

وأعمال يهودا شتاينبرغ [8] عندما كان طالبا في معهد المعلمين كانت الباعث الأكبر على كتابة القصة وعلى جعل جالية اليهود السفارديم [9] المنجم الذي يستمد معظم منه معظم مادته القصصية من حيث القضايا والشخصايت .

اكتشف بورلا أن أعمال مشاهير القصاصين في الأدب العبري الذين سبقت الإشارة عليهم لا تصور إلا حياة اليهود من طائفة الأشكنازيم [10] في شرق أوربا ووسطها وأنها تخلو من أي ذكر لعالم اليهود السفارديم أبناء الشرق الأوسط ، لذلك قرر أن يحقق التوازن في الأدب العبري الحديث ، فأخذ على عاتقه مسئولية تصوير ذلك المجتمع ، بلغته وعاداته وفلسفته في الحياة التي نالها الإهمال . ولكن هذه الرغبة ظلت حبيسة في صدره حتى تخرج من معهد المعلمين وكانت " لونا " أول قصة كتبها بورلا بعد تخرجه من المعهد ، وقد بعث بها إلى الكاتب العبري اللامع يوسف حاييم برينر . وبعد مضي أسبوع تلقى بورلا رأي الكاتب الكبير في أولى محاولاته في ميدان الكتابة الأدبية : " لديك موهبة . لقد قال له برينر " أكتب " وكان ذلك الرأي المشجع بمثابة القرار الخطير الذي ثبت قدمي بورلا على درب النثر الفني في الأدب العبري الحديث وفي كتابته القصة بشكل خاص .

وابتداء بـــ " لونا " ، وهي قصة حب تدور أحداثها بين الجاليات اليهودية السفاردية في القدس ثم ما تبعها من أعمال قصصية عدة أصبح بورلا أول كاتب عبري يعالج موضوع حياة اليهود السفارديم الشرق أوسطية باستفاضة . فقد كانت أعمال مشاهير القصاصين اليهود الباعث على اقتحامه ميدان القصة لأنها جعلته ينظر إلى الحياة الاجتماعية لطائفة اليهود السفارديم بمنظار جديد . فالحياة الشرقية التي تسير وئيداً ، والتي كان للدين سلطان كبير عليها وربما امتزج الدين فيها بالخرافة أحيانا بدت لعين صاحبنا كنزاً ثمينا من الثقافة جديراً بالتسجيل والتوثيق . والحياة الاجتماعية التي

---

[8] (1863 – 1908) كاتب عبري عاش في روسيا البيضاء حتى عام 1906 حين انتقل إلى أوديسا . ألف كتباً مدرسية وقصصا وحكايات خرافية ، ولكن قمة إبداعه كانت من حكاياته من طائفة الحسيديم . ويعتبر يهودا شتاينبرغ أحد مؤسسي أدب الطفل في اللغة العبرية .

[9] " سفارديم " جمع لفظه " سفاردي " وهو لقب يطلق على اليهود القادمين من شبه جزيرة أيبيريا ثم توسع الناس في استخدام هذا اللقب فأخذوا يطلقونه على اليهود الشرقيين عامة ، وذلك لأنهم يتبعون نفس العادات والتقاليد التي يمارسها اليهود من أصل أسباني أو برتغالي .

[10] " أشكنازيم " جمع لفظه " أشكنازي " وهو لقب يطلق على اليهود من أصل ألماني ثم أصبح يطلق على اليهود الأوروبيين غير المنحدرين من أسبانيا والبرتغال .

صورها يهودا بورلا في قصصه كانت قد أوشكت أن تنقرض في بداية القرن العشرين ، لكن بورلا كان على جانب كبير من الألفة بعادات ذلك المجتمع وتقاليده ، ولذا فإن أعمال بورلا تعتبر من الناحية التاريخية الاجتماعية على جانب ، كبير من الأهمية كما لاحظ يشورون كشت [11] .

وكما أشرنا آنفا ، كانت " لونا " أول عمل قصصي كتبه بورلا وكان ذلك عام 1914 ولكنها لم تر النور إلا عام 1918 . وأما القصة الثانية " بلي كوخاف " (بلانجم) ، والتي استمد موضوعها من حياة البادية العربية ، فقد نشرت عام 1922 . وفكرة الكتابة عن الحياة البدوية العربية هذه جاءته عندما كان في الكرك عبر نهر الأردن أثناء عمله جنديا في الجيش التركي ، ولكن بورلا عاد إلى الكتابة عن طائفة اليهود السفارديم عام 1928 ، عندما نشر أول رواياته الطويلة " إشتو هاسنوآه " (زوجته المكروهة) ، التي لفتت نظر القراء إليه وهي التي صنعت شهرته القصصية [12] .

لقد سبقت الإشارة إلى أن الحياة التي صورها بورلا كانت في طور الانقراض لكنه كان على ألفة كبيرة بمظاهرها ، ويجمع دارسو أعمال بورلا على أن تلك الفترة التي خلدها في أعاله كانت فيما بين عام 1880 – 1918 . والجاليات اليهودية في فلسطين التي كرس بورلا أعماله لوصفها كانت تلك التي تقيم في القدس ، والخليل ، وصفد وطبرية . هذه المدن كانت تعرف بين اليهود بالـ " البقاع الأربع المقدسة . لكن اهتمام بورلا كان منصبا على الجالية اليهودية في القدس والخليل في المقام الأول وقد استحوذت الجالية اليهودية في القدس على معظم اهتمامه وكان هذا أمراً طبيعيا فالقدس كانت مسقط رأسه والمكان الذي التقى فيه معظم أبطال قصصه .

ومن هذا العلام الشرقي الساحر استمد بورلا كل شخصياته تقريبا ، وهذا العالم متعدد البيئات تضاريسياً واجتماعيا ، وقد حرص صاحبنا على تسجيل هذه الاختلافات البيئية واختلاف أنماط الشخصيات تبعا لاختلاف البيئات .

---

[11] " يهودي هامزراح بسفروتينو " في مولاج 12 العدد 169 – 170 (تل أبيب) ص 421 .
[12] حاييم ليب ، المصدر السابق ، ص 126 .

وتتناول القصة " البورلاوية " حياة شخص بأكملها ابتداء من الميلاد وانتهاء في الغالب بحدث مأساوي ارتأى الكاتب أن ينهي القصة عنده .

والشخصية في قصة بورلا تأتي مطابقة لما هو موجود في الحياة فأبطال قصص بورلا يقدمون للقارئ مسبوقين بشرح موجز بتضمن أوصافهم الجسمانية ، ومكانتهم المادية ، والاجتماعية ، وحظ كل منهم من التعليم والثقافة .

وأشخاص قصص يهودا بورلا هم في الغالب أشخاص عرفهم الكاتب أو سمع بهم ، وبعضهم كان من أفراد أسرته . وكان بورلا كثيرا ما يشير متباهيا إلى أنه استمد معظم شخصياته من الحياة (الواقع) وله في فهمه هذا أسباب شرحها في مقابلة صحفية نشرت عام 1960 وجاء فيها على لسانه ما يلي :

أنا على إلفة كبيرة بالنمط السفاردي بصورة خاصة ، أفهم (أعرف) كل طرفه عين منه وأعرف كل الظلال والإيماءات في طريقة حديثة المحفورة فيه طوال قرون عدة . وعندما شرعت في تصوير الحياة التي الفتها والناس الذين عرفتهم صورتهم كما كانوا ، ولكن في ثوب فني كما هو واضح . معظم قصصي مستمدة من الحياة ، هذا حق . لأنني وجدت فيها أشخاصاً أقوياء قادرين على حمل العبء الذي ألقيته عليهم ، ومن كان يعيش في القدس قبل خمسين عاماً يعرف أن يجد أبطال قصصي [13]

الدين في أعمال يهودا بورلا:

لقد كان للبيئة الدينية التي نشأ فيها يهودا بورلا تأثيرا محتوما في أعماله كما أسلفنا الحديث عند التعريف بالكاتب ، فالدين يقوم بدور حاسم في تشكيل حياة معظم شخصيات قصص بورلا ، وأدل الأمثلة على ذلك حالة " عبد " بطل روايته الثانية " بلي كوخاف " (بلا نجم) ، وكذلك حالة بطل روايته " إشتو هاسنوآه " (زوجته المكروهة) .

فالأول هو الناجي الوحيد من قبلية " القطيفي " ، التي أبيدت على بكرة أبيها والبطل كما تحكي القصة تم إنقاذه على أيدي أعدائه ، وذلك امتثالا لحديث منسوب إلى

[13] ج . ياردينى ، المصدر السابق ، ص . 128 .

النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لن يبيد آل القيطفي من الأرض " ويشير بورلا إلى ذلك الحديث ولكننا لا نعرف خلفية الحادثة حتى يلتقي " عبد " مصادفة بناج آخر من قبيلته وهو أبو كامل الخطيب ، الذي يطلع " عبد " على حقيقة أصله وسبب بقائه حيا . ويقول أبو كامل مخاطباً " عبد " :

قبيلتك يا بني هم آل القطيفي ، وقد كانوا يتمتعون بالاحترام وذيوع الصيت ، لقد كانوا القبيلة التي آوت النبي محمداً في خيامها في الأيام الغابرة ، عندما فر من مطارديه إلى المدينة ، ولقد أبقوه عندهم أربعين يوماً ، وعندما آن أن يرحل باركهم قائلاً : " لن يبيد القطيفي من على وجه البسيطة " ! ولذلك فإن أي قبيلة تغير على قبيلة القطيفي بقصد إبادتها سوف تحل عليها لعنة النبي وسف تفنى تلك القبيلة نفسها [14] . وداود حداد كذلك يتم إنقاذه من الموت بفضل سبب ديني ، ولكنه سبب مختلف تماما عن السبب الذي كان وراء نجاة " عبد " ، ونحن هنا في حالة داود لسنا بإزاء حديث شريف أو نص مقدس ، وإنما نحن نواجه مزيجاً من التصوف اليهودي والصهيونية السياسية ويطلعنا الكاتب ، على لسان راوي القصة ، على هذا السبب في جزئية بسيطة تتعلق بسيرة البطل من خلال السرد القصصي تعريفاً للقارئ ببطل القصة .

ويقول الراوي :

لقد كان أبوه رجل علم أيضا ، ويتمتع باحترام أهل طائفته ، وكان مضيافاً والموفدون من أرض إسرائيل اعتادوا الإقامة في بيته ، ولكن حظه من الذرية كان سيئاً ، لقد ولد له الكثير ولكنهم كانوا يفارقون الحياة في ما بين سن الثانية والعاشرة ، لقد طلق زوجتين بسبب ذلك ، وكانت مسعودة زوجته الثالثة قد ترملت من زوجها الأول وطلقت من زوجها الثاني ثم زوجها الثالث ، ولقد ولدت له ابنه العزيز داود وحدث أن

---

[14] من المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا بالبركة لعدد من المسلمين ، أفرادا وقبائل ولعل مباركته للمدينة وأهلها جزاء مأزرتهم له ونصرتهم لدين الله خير مثال على ذلك ، فقد جاء في صحيح مسلم ما يلي : " من أراد هذه المدينة وأهله بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " ولكن المصادر الإسلامية لا تذكر شيئا عن مباركة النبي لقبيلة تعرف باسم " آل القطيفي " (1)

(1) أبو الحسين بن الحجاج مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي (القاهرة ، 1939) جـ 9 ، ص ص ، 156 - 158 .

أقام مبعوث صديق [15] من أرض إسرائيل في بيت ربي إبراهيم وأدرك قلقه بسبب الولد ، أمره بالرحيل والإقامة في أرض إسرائيل وكان قد تخطى الأربعين ، عزم على تنفيذ ذلك الأمر ولكنه في أثناء الاستعداد للسفر إلى أرض إسرائيل ألم به مرض توفي على أثره ، ولكن جماعة من أهل المعرفة قالوا لمسعودة :

انهضي وأنقذي ابنك ، واذهبي به إلى الأرض المقدسة ، فباعت كل ما تملك وهاجرت إلى إسرائيل ؛ وصلت أورشليم - بعد أن لقيت مصاعب عظيمة ومرت في ظروف صعبة كأمواج عاتية صفر اليدين – ولكنها أنقذت ابنها [16] وقصة إنقاذ داود هذه جديرة بالاهتمام ، ذلك أنها تتضمن مزيجا من رموز الصوفية اليهودية والصهيونية السياسية ، ويمكننا أن نلحظ ذلك من بعض العناصر التي احتوتها القصة وهي ما يلي :

أ. الصديق ؛ الذي يمارس دوره ، من خلال مبعوثه ، وما لذلك الصديق من مكانة وسلطة في أوساط الفرق الصوفية اليهودية .

ب. الأم ؛ وما تتمتع به من مكانة في الثقافة اليهودية ، وكانت الأم قد أخذت عاتقها مسئولية إنقاذ ابنها بعد وفاة زوجها .

جـ . العبارة التي ختمت بها القصة " ولكنها أنقذت ابنها " ، تتضمن أيضا معنى خلاص داود روحانيا وجسديا ، مما يجعل من داور رمزا لبعث الجالية اليهودية في شمال أفريقيا من جديد ، وليس مجرد خلاص أو نجاة لفرد .

وعلى الرغم من جمال القصة وما تلقيه من ضوء حول خلفية البطل ، داود ، تبقى مجرد ملاحظة تاريخية تتصل بماضي البطل كان بإمكان الكاتب يحذفها دون أن يحدث ذلك أي نوع من الخلل أو الاضطراب في سياق الرواية .

وعلى النقيض من ذلك قصة نجاة " عبد " ، والتي تشكل عنصرا أساسيا في حبكة القصة وفي بناء الشخصية الرئيسية في القصة ، فهي لا تلخص مأساة " عبد " فقط ولكنها تحل اللغز المتعلق بأصله المجهول حتى لحظة لقائه بأبي كامل أيضا ،

---

[15] صديق ، رجل مبارك .

[16] يهودا بورلا ؛ إشتو هاسنوآه (تل أبيب ، 1962) ص 18 .

كما أنها تفسر سوء المعاملة التي كان يلقاها من مستعبده الشيخ فرحان ، وعلاوة على ذلك كله تطلعنا القصة على حجم المشكلة التي يواجهها الشيخ فرحان والتي لم يقدر له أن يطلع عليها ساعة أنقذ " عبد " .

وعلى الرغم من أن اللغة التي يستخدمها شخوص القصة وكذلك سلوكهم في حياتهم الخاصة تظل أخلاقياتهم على النقيض من ذلك ، فكل شخصيات بورلا تقريبا لابد أن تصطدم بالدين في مرحلة معينة من حياتها ، وهذا الصدام مع الدين ليس ناشئا عن تأمل أو بحث علمي ، وإنما هو ناشئ عن مجرد التعارض بين حاجاتهم الشخصية ومعتقداتهم الدينية ويأتي الله وصفاته ، والعدل على وجه الخصوص ، في مركز الصراع بين الإنسان والدين ، وينقسم الأشخاص في هذا الصراع إلى طائفتين : الأولى وهي طائفة المنكرين أو الشاكين في وجوده سبحانه ، لأنهم لا يرون علامة من علامة عدله ورحمته عندما تلم بأحدهم ملمة .

أما الثانية فهي طائفة المؤمنين بوجوده وعدله ، المنتظرين لفرجه حتى وإن غابت عن إدراكهم علامات الخلاص ، فالاستسلام لإرادته وقضائه لابد منه ، لأن الإنسان ليس مطلعاً على الأقدار ، ولكنه لابد له من الإيمان بأن أفعال الرب تتصف بالحكمة.

فهذا " عبد " بطل روايته " بلا نجم " يحكي للخواجه داود ، راوي القصة الرئيسية ، قصة حياته بادئا حديثه بالعبارة الآتية : " سأروي لك كل ما قد كتبه الله لي وعن حظي من هذه الدنيا [17] ، فهذه العبارة تعطينا فكرة جيدة عن نوعية شخصية البطل كما تقدم لنا العالم الروحي لشخصيات الرواية ، ويخوض " عبد " مغامرات كثيرة انتهت كلها تقريبا بنهايات حزينة وفي نهاية كل حادثة مأساوية لا يجد " عبد " نفسه تفسيرا لمصيبته سوى القول : " هذا ما كتبه علي " وفي موقف آخر يردد " عبد " فكرته هذه الخاصة بالإيمان بالقدر ، ولكنه هذه المرة يقدم لنا مثالا للقدرة الإلهية . فقد جمعت المصادفة بين عبد وجندي أرمني في الجيش

[17] يهودا بورلا ، بلي كوخاف ، (تل أبيب ، 1962) ص 14 .

التركي ، ودار بينهما حديث حول نتيجة المعركة . وفي هذا الحديث يؤكد " عبد " للجندي الأرمني حتمية نصر الله للجيش التركي معللا ذلك بالآتي :

" لأن الأعيرة النارية المعادية ... لا تستطيع أن تفعل شيئا دون إرادة الله " [18]

ولكننا هنا يجب أن نتذكر أن " عبد " الذي نواجهه هنا ، هو عبد الرجل الناضج الذي أرغمته تجربته المأساوية للركون إلى مثل هذا الاعتقاد ، ففي صباه كان عبد يتخذ موقفاً مختلفاً تجاه قضية القدر والإرادة الإلهية ، كان يقابل هذه القوة الخفية الغيبية بالحيرة . لأنه لم يكن يجد تفسيراً منطقيا لأحواله البائسة ، ومن ثم ينتهي إلى اتهام القدر بالتلاعب بمصيره .

كان " عبد " في صباه مشغولاً بقضية أساسية وهي قضية أصله التي عبر عنها نفسه بعدد من الأسئلة :

من أنا ؟ وماذا كان ماضي ؟ وكيف أتيت إلى هنا ؟ [19] . لم يجد عند أفراد قبيلة الحفاني الإجابة الشافية فاضطره إلى اللجوء إلى عراف ، ولكن الأخير أخبره بأنه لا يستطيع أن يخبره عن الماضي ، ولكنه اخبره عما ينتظره في المستقبل بهذه الكلمات الغامضة : الراحة سوف تكون بمنأى عنك ... نجمك قد أفل ... سعادة من نوع آخر تنتظرك في مستقبل الأيام ... ولكن حتى هذه لن تدوم ... لا تسابق الزمن [20] وفي النهاية يختم العراف نصيحته لعبد بقوله : " اقعد ولا تفعل شيئا ... انتظر رحمة الله لأن رحمته واسعة " [21] . وفكرة التواكل هذه ، وهي الاستسلام المطلق للقدر دون الأخذ بالأسباب ، والتي تعكس موقفاً سلبيا من جانب طائفة كبيرة من أهل المشرق ، تجاه الحياة بصورة عامة ومشاكلهم الشخصية بصورة خاصة ، خاصة في بداية القرن الماضي نجدها تتكرر في موقف آخر من حياة " عبد " .

---

[18] المصدر السابق ص 71 .

[19] المصدر السابق ص 52 .

[20]

[21] المصدر السابق نفس الموضع .

ولكن الفكرة هذه المرة تبدو من اقتراحه هو وليس من شخص آخر وفي هذه المرة يواجه " عبد " مشكلة جديدة تضاف إلى مشكلة حل اللغز المحيط بأصله المجهول ، فقد فرق حموه بينة وبين زوجته الحبيبة ناهورة حين أمره بأن يبقى بعيداً عن الدار وأن يبقى مع " أبا يحيى " ليرعى الغنم [22] ، وعلى الرغم من كراهية " عبد " لهذا التغير الجديد في حياته لم يلبث أن وجد فيه نوعا من الفائدة ، فقد أتاح له هذا التطور الجديد فرصة التجوال الحر لمواصلة عملية البحث عن أصله هو ، والتي بدت حتى تلك اللحظة عديمة الجدوى ، ولكن حقيقة أنه لم يعد قادرا على رؤية ناهورة أوجده في حالة لا تطاق ، وقد وصف حاله هذه قائلاً :

كنت ممزقاً بين ناهورة من ناحية ، وبين الدنيا من ناحية أخرى ، كي أبحث وأعلم – كنت راغبا في الموت ولكن شريطة أن أصل إلى اليقين .. ولكن على الرغم من كل ما فعلت ، وعلى الرغم من تجوالي ظلت غايتي بمنأى عني ... كل شيء بدا لناظري مشوشاً .. قلبي كان مفعما كأنني كنت أحمل ثقلا لا يراه الناس – أذكر أنني كنت اعتاد الجلوس في بعض الأحايين في مكان معين ، وأقول لنفسي : " كفاك يا " عبد " ، اقعد هنا ! استرح قليلا ، اطرد الأفكار ، ماذا عساها أن تفيدك يا عبد ؟ ها ذا لحمك يتعفن ، وسوف تهرم قبل أوانك [23] . وما أن يبلغ تيار أفكار " عبد " إلى منتهاه حتى تبلغ فائدة مبدأ التواكل ، أو التوكل على الله كما هو الحال في حقيقة الأمر مع عبد ، ذروتها ، عندما يختم البطل حديثه عن نفسه فيقول :

" وسوف يهدي الله بصيرتك – لا تفكر – وسلم أمرك لله ! جرب هذه مرة أو مرتين – وانظر ماذا يحدث " [24] ، ويستجيب " عبد " لهذا النداء الصادر من أعماقه وذلك بالجلوس دون أن يقوم بأي عمل ما خلا لقط الحصى وضرب بعضها ببعض ، محاولاً إلهاء نفسه عن التفكير في مشكلته ، ولكن هذا الحال لا يدوم طويلا ويجد " عبد " نفسه دونما قصد يسترجع ذكريات الأيام الخوالي الجميلة حين كان

---

[22] المصدر السابق ، ص ص . 74 – 76 .
[23] المصدر السابق ، ص . 81 .
[24] المصدر السابق ، نفس الموضع .

يعيش قصة حب مع ناهورة ، وفجأة يتذكر " عبد " ضعفه وقلة حيلته ويتذكر مأساته فينفجر باكيا في شكوى مرة من خالقه معيدا سؤاله القديم :

" إلهي ! ناديت – ماذا فعلت بعد ؟ ما الذنب الذي اقترفه عبدك عبد ، حتى تنتقم منه بهذه الطريقة ! " [25] .

وحتى بعد تقدمه في السن ظل " عبد " مؤمنا بمسئولية القدر عن أفعال الإنسان وعن مصيره الذي ينتهي إليه وفي هذه المرحلة ، وعلى أية حال يتكرر طرح الأفكار القديمة ولكن بنغمة أقل حدة مما سبق وتفصح عن عجز " عبد " وحيرته وميله إلى اتهام السماء باللعب بمصيره ، والمشاكل والحوادث المؤسفة التي يرويها " عبد " عادة ما تكون مسبوقة بمقدمات .

تأخذ المقدمات شكل الأحكام المسبقة ويكون دورها في القصص أو الحوادث هو تقوية ما ذهب إليه من أحكام مسبقة وخير ما تتمثل فيه هذه المسألة المثالان الآتيان :

1. مشاركته للحفاني في معركة ضد قبيلة مغيرة ، التي كان من نتائجها قتل عمه على يديه هو .
2. موت طفليه ، ابنه عزام وابنته منيرة .

فقبل الدخول في تفاصيل أحداث المعركة ودوره فيها ، يبدأ " عبد " حديثه بمقدمة عن مصير الإنسان ودور الخالق في تشكيل هذا المصير فيقول :

فإذا بنا نجد الأيام المريرة تبدأ بعد هذا اليوم ، وتوالت اللطمات الواحدة بعد الأخرى – ولكني لم ارتكب ذنبا ، من أين لي أن أعلم ؟ أنا لا أدري يا خواجه داود ، فعندما يفكر الإنسان في الأمور التي تحل به على يد القدر ، والإنسان كأنه نائم ، غير مدرك ولم يقترف ذنبا ولا كبيرة في حق الله عندما يرى يد الله تضربه فتجعله يهوي – ولكن في بعض الأحايين قد يتفوه بالإثم ، استغفر الله العظيم [26] .

---

[25] المصدر السابق ، ص 82 .
[26] المصدر السابق ، ص 53 .

ولما أدرك الخواجه داود قصر الوقت وأن الجيش سوف يواصل التقدم نحو قناة السويس طلب إلى " عبد " أن ينهي قصته ، ولكن الوقت أيضا لم يعد ملائما " لعبد " فالساعة بلغت الرابعة صباحا ، والقصة تقترب من خاتمتها . ولكن " عبد " يدرك أنه لا يستطيع أن يجلس خلال النهار ليروي القصص والحكايات ، فعليه واجبات وهو مكلف بأدائها ، لذا وافق " عبد " أن يكمل القصة عندما تحين فرصة أخرى .

وفي هذا الجزء من القصة بتحدث " عبد " عن استقراره هو وزوجته في قرية راضية في لبنان ، فقد ولدت له زوجته ابنا أسماه عزاما على اسم أبيه هو ، وابنة اسماها منيرة ، وقد أنعشت هذه الأسرة المتنامية الأمل في نفس " عبد " في إحياء قبيلته هو ، ولكن القدر ، كما هي العادة كان له بالمرصاد ليعكر صفو حياته الهانئة ويبدد أحلامه ، وقبل أن يشرع في تذكر أيام حياته الهادئة الكريمة وقبل يتذكر نهايتها المأساوية المفاجئة ، يطرح فكرته عن الثواب والعقاب على الخواجه داود فيقول :

لقد أدركت أن بمشيئة الله إن أراد بالإنسان خيرا أن ينعم عليه بالحياة الكريمة والسعادة وطمأنينة القلب حتى في هذه الحياة الدنيا ، ويخيل إلي أن الله أراد أن ينعم علي بقليل من الثواب ، قليلا فقط ، في مقابل كل الإهانة والألم الذي حملتهما في صدري طوال الأيام الخوالي ، وفي مقابل كل الشقاء الذي كان ينتظرني في مستقبل الأيام . [27] .

وبعد ثلاث صفحات من هذه العبارة ذات الصبغة الفلسفية يتابع " عبد " سرد ذكرياته عن أسعد عامين في حياته التي فيها ولد له ابنه وابنته ، فيصف " عبد " مشاعره في ذلك الزمن :

وكنت أراني كأنني بدأت أعيش أيام حياتي حينئذ فقط ، وكنت في ذلك الوقت قد جاوزت الثلاثين من عمري ، وكنت كثير التفكير في أمر أولادي وقبيلتي آل القطيفي ، وعندما كنت أحمل ابني بيدي أقبله وأضمه إلى صدري ، كنت أقول

[27] المصدر السابق ، ص . 118 .

لنفسي : لقد أراد الله بي خيراً ... لقد أشرق وجهه نحوي ... وسوف يكبر هذا وسوف يأتيني بعده آخر ... سبعة ، ثمانية ... سوف أتزوج بامرأة أخرى ... سوف يملأون بيتي ... سوف يكبرون ... فتيانا أقوياء ... وسوف يزيدون من عدد آل القطيفي ... وسوف تكون قبيلة أبناء القطيفي أكبر شأنا وأكثر عددا ... سوف تكون لهم السطوة والمجد [28] .

ذكريات " عبد " عن ماضيه ليست كلها استغراقا في عالم الأحلام ؟ بل ما زال فيها متسع لعالم الحقيقة كما يراه هو ، فبعد سرده سلسلة الأحلام السعيدة هذه يأخذ " عبد " في الحديث عن أولئك الذين ألهموه بتلك الأفكار المليئة بالأمل ، وبخاصة عن طفليه .

فهو يتذكر صغيريه يلعبان في الحجرة ، ولكن مأساته الشخصية تجبره على الحديث عن النهاية المؤسفة التي انتهت إليها سعادته القصيرة العمر والأحلام الطموحة التي تبددت ، يقول عبد :

" ولكن الله لم يشأن ذلك ... فقد مات ابني عزام ... في حوالي سن الثالثة أو يزيد ... وكانت منيرة لا تزال رضيعة ، وعندما حصلت هذه الوفاة ألقى ملك الموت بظله على بيتي ... كان الطفح يغطي جسده ، وظل محموما لأربعة أو خمسة أيام ولم يستطيعوا إسعافه ، وفي نهاية الأسبوع فارق الحياة ، لقد تركنا الله وحيدين [29] .

ومن الواضح أن " عبد " كان محزونا على فقد ابنه ، ولكنه يخبرنا بأن زوجته كانت أشد منه حزنا ، ويبدو أن الفاجعة كانت أكبر من أن تتحملها فأخذ يواسيها قائلاً :

" لم تواصلين ذرف الدموع وتطيلين أحزاننا ، فالله هو الذي وهبنا إياه وهو الذي أخذه ، ولكنك إن شاء الله أيضا سوف تملاين البيت أطفالاً ... نحن لم نهرم بعد ... وهكذا كنت أواسيها بالكلام ... ولكنني (بسبب ما حل بي فيما بعد ... أدركت كم

---

[28] المصدر السابق ص 221 .

[29] المصدر السابق ، ص ص ، 121 – 122 .

كانت كلماتي فارغة وبقيت حزينا وحيدا ... خاويا وحيدا ... وفي ذلك الوقت أجهدت نفسي في التفكير في أفعال القدر وبذلك جهدا عظيما ولكن دون طائل – وكانت هي بعيدة عني " [30] .

العلاقة بين الله والإنسان كما صورها عبد في المقتبسات السابقة (ص 118 على وجه الخصوص) أشبه ما تكون بعلاقة سجين وسجان سادي .

وهذه الروح المتشككة الحذرة حول الإرادة الإلهية في " رواية بلي كوخاف " تصبح أكثر وضوحا في روايات بورلا المتأخرة مثل " نفتولي آدام " (صراع الإنسان) " وعليلوت عكافيا " (مغامرات عكافيا) ، ويشكل الحب الفكرة الأساسية في كلتا الروايتين ، حيث يواجه كل من البطل والبطلة على حد سواء معارضة ومطاردة من بيئتهما الاجتماعية .

فالبطل في رواية " نفتولي أدام " ، رحمو هيب ، ينتمي إلى عائلة معروفة من اليهود السفارديم في دمشق ، وهو متزوج وله عدد من الأبناء ولكنه لا يكترث لزوجته وذلك لغياب المودة بينهما ، وهو بائع متجول يجوب القرى العربية ليبيع الملابس والحلي للنساء . وتشاء المقادير أن تجمع بينه وبين فتاة مسلمة تدعى شفيقة قصة حب ، ولكن قصة حبهما تنتهي بعمل عقابي يقوم به أقرباء مطلقها الذين هاجموا رحمو وفقأوا عينيه ، ولم تسلم شفيقة نفسها فاضطرها ذلك إلى الفرار من القرية ، وأدى بها في النهاية إلى الانتحار .

وصاحبنا رحمو هذا مثال لليهودي العادي البسيط الذي نشأ على الإيمان بالله وبرحمته وعدله ، ولكن يبدو أن المصيبة التي ألمت به قد زعزعت من هذا الإيمان ؛ ففي البدء نراه يحاول إذلال نفسه والتقليل من شأن شكواها وذلك في محاولة منه حتى لا يفقد إيمانه ، فيخاطب رحمو نفسه :

---

[30] المصدر السابق ، ص . 122 .

أنت لا تساوي إلا حبة رمل صغيرة ، أنسيت عظمة خلق الله ؟ هل نسيت جداول الماء الجذلي ، الجنان المباركة ؟ من الذي سكب السحر في عيون النساء والكواعب ليبهج الروح ويسرها سرورا عظيما [31] .

ولكن كلما تزايدت مشاكل رحمو ووعيه بالمأزق الذي صارت فيه شفيقة اضطرب إيمانه ، ولكنه في تلك الأثناء يلتقي بشيخ مسلم يدعى الشيخ عبد الكريم ، الذي يحاول أن يهون عليه مشكلته عن طريق تعريفه على أفكار وآراء جديدة في الحياة .

يقول الشيخ عبد الكريم مخاطبا رحمو :

إن فكرة الحياة نفسها هي الفناء ، الاختلاف فقط هو في طول الوقت ، في بعض الأحايين يأتينا إحساس بالأزلية ، مجرد بصيص ، كأشعة ضئيلة ، كشرارات سريعة الزوال ، لماذا ترسل إلينا هذه الأشعة من الأزل ؟

ذلك ما لن تستطيع معرفته ، فأنت تري الجمال الخلاب ينتشر فوق الخليقة فتحس بقطرة من الأزلية ، وتسمع صخب الأمواج فتحس في أعماق نفسك بنشوة وابتهاج غامر ، وهذه لمحة من عظمة الخالق . تفكر في الخليقة فيشرق عليك شعاع من الخالق نفسه ... كل أولئك الذين فقدوا قوة النظر والسمع أو التفكير قد فسدت في داخلهم الأزلية [32] .

ولكن هذه الكلمات لا تحمل حلا لمشكلة رحمو ، إنها لا تحمل إلا معنى واحدا وهو أنه يتعين عليه أن يحمل عبأه وأن لا يتوقع أية مساعدة في هذا الظرف العصيب من حياته ، ولذلك فقد الإيمان بالله بعد موت شفيقة ، وهذه الحادثة هي التي وهبته التحرر : " التحرر من الله والإنسان " كما يقول رحمو نفسه [33] .

وتشكل مأساة مشابهة لمأساة رحمو الأساس الذي بنيت عليه قصة " عليلوت عكافيا " ، حيث وقع البطل الذي تحمل القصة اسمه في مشكلة نتيجة وقوعه في علاقة

---

[31] يهودا بورلا ، نفتولي آدام ، (تل أبيب ، 1962) ص . 72 .
[32] المصدر السابق ، ص . 105 .
[33] المصدر السابق ، ص . 127 .

حب مع امرأة قروية من الأناضول تدعى أناهيت ، وتبدأ مأساته عندما يكتشف أنه لا يستطيع الزواج منها ، فيدفعه ذلك إلى الجرأة على الله ، فيقول :

أكانت غلطة مني أنني وجدت هذه المرأة ؟ هل أنا الذي بحثت عنها ؟ من الذي جاء بي إلى هذه القرية ؟ إنها ، أناهيت هي التي اقتلعت قلبها ووضعت نفسها مكانه ، إني أحبها بقدر ا أحبك ، أنا اعترف بأن الأمر فوق ذلك لا تكتبه علي إثما إنني أفضي لك بما يعتلج في صدري ، وهذا الحب ، يا أبت ، قوة الحب هذه – أليست قوتك أنت ، ألست رب كل العقول وكل الألباب ؟ [34] .

أما عكافيا فقد وجد مثل سابقيه رحمو وعبد رجلا حكيما تولى مهمة مواساته وترسيخ إيمانه بالله ، فقد لجأ عكافيا إلى الحاخام عكنين ولكن كلماته الطيبة لم تجد فتيلا ، وانتهى عكافيا إلى فقد الإيمان بالله وعدله ورحمته [35] .

ولكن " عبد " بإيمانه المتذبذب بالذات الإلهية والمتأرجح بين التمرد والاستسلام الكامل لإرادته ، وإيمان رحمو المزعزع يقابلها موقف مختلف تجاه هذه القضية الروحانية يبناه أبو كامل و " أبا يحيى " ، ويبدو أن الأخير أجدر بالاهتمام على الرغم من صغر دوره النسبي في الرواية . فهو على النقيض تماما من " عبد " فيما يتعلق بقضية الإرادة الإلهية والعلاقة بين الإنسان والخالق ، ويتذكر عبد كلمات " أبا يحيى " التي كان يواسيه بها كلما ألمت به ضائقة يقول " أبا يحيى " :

الناس في يد الخالق مثل نبات البردي على صفحة الماء ... تثنيها الأمواج في اتجاهات مختلفة ولكنها لا تلبث أن تعود سيرتها الأولى ... تنثني إلى الوضع الذي قد قدر لها سلفا ، وكذلك الإنسان ، لا مهرب من الطريق التي أمر بأن يسير فيها [36] .

---

[34] المصدر السباق ، ص . 117 .
[35] المصدر السابق ، ص . 282 .
[36] يهودا بورلا ، بلي كوخاف ، ص . 78 .

وتبدو فكرة الإله القاهر فوق عباده التي عبر عنها " أبا يحيى " في الفقرة الأنفة الذكر تكرارا لفكرة " عبد " في الموضوع نفسه للوهلة الأولى ، ولكن الأول لا يلبث أن يعدل من وجهة النظر هذه في موقفين اثنين .

الأول : الموقف نفسه الذي عبر فيه عن رأيه الأنف الذكر ، بل في الواقع قبل ان يفصح عن هذا الرأي . يقول " أبا يحيى " مخاطبا " عبد " :

أنظر إلي يا عبد ، انظر إلي وافهم أن أفعال الله عظيمة ولا تحصى ، وما يصبه على رأس الإنسان – فكل ذلك للخير ، بشكل عام كل ذلك للخير . لذلك عليك ألا تقلق كثيرا ، فالله سوف يريك يده الطيبة ، وسوف يكون قلقك في غير معنى [37] .

الثاني : في هذا الموقف يقحم " أبا يحيى " نفسه مرة أخرى في مشاكل " عبد " ، وفي هذه المرة يفصح عبد عن نيته في الانتقام لقبيلته من قبيلة الحفاني ، ولكن الفكرة لا تبدوا حكيمة لأبا يحيى ، لذا تجده يحاول أن يثنيه عن عزمه ويقنعه بطريقته الخاصة في الجدل والإقناع بالتخلي عن تلك الفكرة الشريرة .

قال لي أنظر إلي يا عبد – أنت لا تفهم سنن الله ... أنت لا تقدر أفعاله . أبوك ، وإخوانك وأبناء قبيلتك قد قتلوا على أيدي آخرين ، قتلوا على أيدي أبناء الجيل القديم ، الآن لم يبق منهم أحد وأنت الباقي على قيد الحياة ، فلولا إرادة الله ، لم تكتب لك النجاة ، ويحك ، ويحك يا " عبد " ، أتظننا نفعل اليوم ما نريده ؟ لا يا " عبد " ، إنه ما قد قدر منذ أن جئنا إلى هذه الدنيا هو الذي نفعله الذي قدرته السماء ، نتلقى فقط ما قدر لنا . لك كتبت الحياة ، وعليك أن تحفظها ، وبالمثل فأنا أيضا قد كتبت لي الحياة ، وأخذت مني كل شيء ... كل شيء – وقد كتبت علي أن أبقى حيا ، نصف حي ، زوجتي وأولادي هناك وأنا هنا ... وجاء بي أمر الله إلى هنا ، إلى الصحراء ، لقد علم الله أنني لا أستطيع رؤية الحواضر ، ولا أستطيع أن أنظر في وجوه أولئك القوم وأتى بي إلى الصحراء ، لأنه من الذي جعلني اقطع هذه المسافة العظيمة على قدمي ؟ وأنت يا بني عليك أن تنتظر وترى ماذا يبدي لك الإله بمشيئته .

---

[37] (المصدر السابق ، ص ص . ، 180 – 181 .

وعلى الرغم من " عبد " وأبا يحيى " يتفقان على قضية قدرة الله على التصرف بمصير الإنسان إلا أنهما يختلفان في نقطتين :

1. المشاكل التي تقع للإنسان .
2. العلاقة بين الله والإنسان .

فعلى حين يرى " عبد " في مشاكله عقابا لا مسوغ له من الله ، ينفي " أبا يحيى " فكرة العقاب من هذه القضية وفي الحقيقة ، كما تبين من الفقرة السابقة ، هو يعتبرها من أجل صالح الإنسان ، وعلى هذا اختلفت نظرة كل من الرجلين إلى العلاقة بين القدر والإنسان ، فبينما يرى " عبد " في هذه العلاقة علاقة السجين بسجانه الظالم يرى " أبا يحيى " في الله الحاكم العادل ، وهو ينظر إلى حياته وكذلك حياة صاحبه " عبد " بما فيها من خير وشر ، فيرى فيها تسوية عادلة أشبه ما تكون بمعادلة ، يمكن صياغتها على الآتي :

1. لقد فقدت أسرة وقبيلة ، ولكنك وهبت الحياة والحب .
2. لقل سلبت أنا كل شيء ولكنني أعطيت الحياة ، ولم أقدر على حمل عاري بالعيش في المدن لذا أرسلتني الأقدار إلى الصحراء .

أبو كامل الخطيب يكرر ، تقريبا ، نفس أفكار " أبا يحيى " حول علاقة الإنسان بالله ودور القدر في تشكيل مصير الإنسان ، فذكرياته عن اليوم الذي أبيد فيه آل القطيفي تقريبا مثال جيد ، فهو يعتبر نجاته من الموت معجزة مذهلة ، وما زالت تشغل ذهنه حتى في سنة المتقدمة هذه ، ثم يختم ذكرياته عن ذاك بعبارة قدرية تقليدية فيقول : " ... ولكنني لم أعثر حتى على رجل واحد من أفراد القبيلة ... واحسرتا ، فقد أنفذ الله أمره وسنته ... [38] .

ويفسر أبو كامل هذا العقاب الإلهي تفسيرا أصيلا لم يسبقه إليه أحد وجديرا بالاهتمام ، فابن قبيلته " عبد " لا يفهم سر العداوة التي يحملها آل حفاني لقبيلته فيتجه إلى أبي كامل طالبا التفسير ، فيجيبه الأخير .

---

[38] المصدر السابق ، ص . 98 .

تسألني لماذا ؟ فأقول لك : إنه الحسد لآل القطيفي المبجلين ، والعداوة التي لازمتهم ولازمت خلقا كثيرا من البدو هي من عند الله أيضا ونحن نستحقها [39] .

وفي قصة معرخوت (معارك) ، تأخذ قضية الاستسلام للقدر وقبول العقوبة بعدا قدسياً ، وخير ما تتمثل فيه هذه الفكرة هو موقف بوسا راينه ، بطلة القصة ، من فقدها نعمة الإبصار .

ففي سن الخامسة والأربعين ، تعاني بوسا رانية من ألم في عينيها لمدة بضعة أشهر ، وفي النهاية تفقد بصرها ويسمح لها بمغادرة المستشفى [40] ، وعند سماع هذا الخبر السيئ تأتي سول دي نحيمایاس ، وهي صديقة حميمة للبطلة وجارة سابقة ، وفي الحال من خارج المدينة حيث تقيم إلى منزل بوسا رانية ، وما إن تصل إلى المنزل حتى تهرع في الحال إلى بوسارانية وتقبل يديها ، ثم تنظم إلى جمع غفير من النسوة اللاتي قد أتين من قبل مجيئها ويلف الجميع حزن صامت [41] ولكنها لم تستطع السيطرة على عواطفها ، فاتجهت إلى الحاضرات معبرة عن الصدمة التي تلقتها عند سماعها الخبر وعن عدم قدرتها على تصديق ما حدث بما يلي :

أحق هذا أيها الناس ؟ أخبروني من فضلكم ، أليس هذا حلما ، حلما مزعجا ؟ أصحيح أن النور قد فارق هاتين العينين اللتين اعتادتا أن تمنحا قلوب الناس النور والحنان والرحمة ؟ نفس العينين ، نفس النورين المقدسين ! أيعقل أن يدمر تبارك اسمه ، أحن عينين خلقهما طرا ، أهكذا تكافئ السماء صالحة نقية مثلها ؟ أخبروني ، يا ناس ، هل رأينا جميعا امرأة مثلها بين النساء ؟ وكيف يمكن لأعيننا أن ترى جيدا ، بينما عيناها ، يا ويلتي ، قد كفتا ؟ [42] .

وتواصل سول دي نحيمایاس بث شكواها المرة بسبب الكارثة التي حلت بصاحبتها الطاهرة ، وعندما ينفد ما لديها من أسئلة حقيقية واستفهامات استنكارية وعندما تتيقن

---

[39] المصدر السابق ، ص ص . ، 88 – 89 .
[40] يهودا بورلا محرخوت (في المجموعة القصصية ، نشيم تل أبيب ، 1962) ص . 100 .
[41] المصدر السابق ، ص . 101 .
[42] المصدر السابق ، ص . 102 .

من عدم قدرتها على حل لغز هذه العقوبة (التي تراها هي غير مبررة) والتي لحقت صاحبتها ، تعود وتسترسل في بكاء مر .

أما بوسا رانية فقد كانت على النقيض من صديقتها الحميمة ، وعلى الرغم من أن المرء يتوقع أن تكون المرأة مغيظة محنقة بسبب ما حل بها جاء تصرفها أكثر حكمة ، بل الأغرب من ذلك إننا نجد بوسا راينه تتجه وبشكل ساخر إلى صاحبتها المذعورة تهدئ من روعها وتواسيها ، هذا في الوقت الذي يتوقع المرء أن يتوجه الآخرون إلى بوسا راينه بالعزاء والمواساة ، فهي تنصح صاحبتها بأن لا تتفوه بالإثم وذلك بشكها في الحكمة الكامنة وراء أفعال الله ، وعدم التسليم لأمره وقضائه ، كما تطمئن صاحبتها إلى أن الله لن يعاقبها بسبب ما تفوهت من كلام وذلك لأنها كانت في حالة حزن وقد قال حكماء بني إسرائيل قديما :

" لا يحاسب الإنسان على ما يقول وهو محزون " [43] ، وهي تبرر نصيحتها لصاحبتها بالكف عن مناقشة أفعال الله بما يلي :

لأنه ما الذي نفهمه من سنن الله وأفعاله ، ومن أحكامه وصفاته ونعمه ؟ إننا نتحرك كالأعمى مع أن أعيننا مبصرة ، ولذلك فهل من الممكن أن نبصر بينما تكون أعيننا مغمضة ؟ أليس هذا ممكنا يا أختاه ؟ إننا نرى الأشياء بأعيننا فقط ولكن هل ندرك بأرواحنا ما نرى وما نحدق فيه ؟ وكثيرة هي التي نراها مؤكدا لا نفهم كنهها ، والتي نفحصها ولكن لا نعرفها ، ولكن كيف ، والعياذ بالله ، نتفوه بالشر عندما ينزل على رؤوسنا عقاب من الله ؟ أليس الأجدر بنا أن نشكر الله على اختياره لنا ونحن في هذه الدنيا لينفذ فينا قضاؤه [44] ، وتتوقف بوسا راينه هنيهة لتفكر ، لعلها تتذكر ذنبا أو إثما تستحق من أجله عقوبة فقدان نعمة البصر، وعلى الرغم من أنها لا تستطيع أن تتذكر أي ذنب ارتكبته في حق أي أحد ظل تأثيم نفسها فكرة تشغل بالها ، وأخيرا عثرت على سبب جيد تنال عليه عقاب الرب ، وتمثل ذلك في أكثر أنواع الضعف البشري شيوعا ، فتقول بوسا رانيه :

---

[43] المصدر السابق ، نفس الموضع ، وانظر أيضا " بابا بترا " 16 ب ، التلمود البابلي (أورشليم) .

[44] يهودا بورلا معرخوت ، ص ص . ، 102 – 103 .

هل هناك إنسان يستطيع أن يشهد على أن عينيه لم ترتكبا إثما ؟ أنا الضئيلة الشأن ، هل أستطيع القول بأنني لم أنظر إلى متع هذه الدنيا الزائفة منذ أن ولدت إلى يومي هذا ؟ [45] .

ولقد هدفت بوسا راينه من خلال هذا الجدل الطويل إلى تأكيد قوة إيمانها بالله من ناحية وإلى مواساة نفسها وتسليتها ضمنيا من ناحية أخرى ، وفي نهاية هذا الجدل خلصت إلى تفسير جديد لما قد نزل بها فقد أصبحت ترى الحادث على النحو التالي :
" ربما أراد ، تبارك أن يمتحن أمته ، أيمكن أن يكون قد وجد في ، وأنا التي لست إلا كالتراب إذا ما قورنت بالصديقين ، جديرة بأن أمتحن مثل عظماء الصديقين ، أساس هذا العالم ، إبراهيم ، وأيوب ، ودنيال وصحبه ؟ ربما كان هذا هو الذي قد قضاه ، وإن كان هذا ما قد قدر لي وما استحقه ، ألا يجدر بي أن أجتاز الامتحان ؟ ! [46] .

وليست كل شخصيات قصص يهودا بورلا مشغولة بقضايا عامة ومسائل كونية على نحو ما تقدم ، فالبعض من هذه الشخصيات متورط في مشاكل عملية ناجمة عن الصراع بين رغباتهم الشخصية وما يمليه عليهم المجتمع من احترام التقاليد والأعراف ، وتحاول هذه الطائفة من الناس التوفيق بين حاجاتهم الشخصية وتدينهم الآلي المظهري وذلك بأحياء قوانين قديمة لم تعد تمارس وبذلك يضفون الشرعية على على سلوكهم ، وأفضل ما تتمثل فيه صورة هذا الاتجاه هو موقف كل من ملا عوفاديا عطليوف في قصة لونا التي تحمل اسم البطلة وموقف بوسا رفكا في " بكدوشا " (بقدسية) من قضية تعدد الزوجات .

فقبل أن يغادر عوفاديا مجلسه في حديقة منزله اقترب منه رجلان ، وهما : الحاخام رحاميم جاجين ، وهو من أصل أسباني ، وحاخام حلبي غير معروف كانا يقومان بجمع التبرعات من أجل جهاز فتاة فقيرة مقبلة على الزواج ، فوجد صاحب المنزل البخاري البالغ من العمر أربعين عاما من هذه البادرة فرصة ليرى زائريه أنه

---

[45] المصدر السابق ، ص . 103 .
[46] المصدر السابق ، نفس الموضع .

يختلف عن غالبية اليهود من بخاري الذين تفشت بينهم الأمية ، وأنه خبير بالتوراة [47] ، ولما كان الزائران يسعيان في قضية تتصل بالزواج تناقش الرجال الثلاثة في موضوع الزواج وبلغ النقاش ذروته عندما طرح عفاديا على زائرية .

السؤال التالي :

معذرة أيها السيدين ، لقد كتب في التوارة :

إذا كان للرجل زوجتان [48] ... فإن كان الأمر كذلك فأين نجد (الإشارة) النص على التحريم إن كان من التوراة أو من الجيمارا ، أن الرجل محرم عليه أن يتزوج بامراة أخرى إضافة إلى زوجته (الأولى) ؟ [49] .

فيجيب الحاخام رحاميم بأن هذا ليس تحريماً ، وإنما هو تعديل قام به عالم أشكنازي " بسبب تعاسة الزوجة الأولى " .

ويضيف أيضا بأن الزواج من اثنتين عادة أجنبية وسنة إسرائيل هي التوراة ، ولكن عوفاديا يرد على ذلك بأن إبراهيم وموسى ويعقوب كلهم تزوجوا بأكثر من واحدة ، ويعقوب على وجه الخصوص كانت له أربع زوجات ولولاهن ما انحدرت من صلبه اثنتا عشرة قبيلة ، ويواصل عوفاديا النقاش مبينا أن هذا التعديل الأشكناري ما هو إلا تقليد وفد من أوروبا .

ثم يختم نقاشه بالاستشهاد بآية مشهورة من الكتاب المقدس :

" ... ولا تفعلوا كأفعالهم " [50] ، فيرد الحاخام رحاميم على ذلك بأن ظروف الحياة في هذه الأيام قد صارت صعبة ، لدرجة أنه أصبح من المتعذر على بعض الرجال أن يتزوج حتى بواحدة ويستشهد بعبارة من التلمود : " إن عيش الإنسان صعب

---

[47] " لونا " في المجموعة القصصية " إشتوها سنوآه " ص ص . ، 180 – 181 ,

[48] سفر التثنية ، فقرة : 21 ، إصحاح : 15 .

[49] يهودا بورلا " لونا " ، ص 182 .

[50] سفر الخروج ، فقرة : 23 ، إصحاح : 24 .

كصعوبة شق البحر الأحمر " [51] ، فينهي عوفاديا النقاش قائلاً : " إذا كان الله قد وفر للإنسان الرزق ومنحه الثراء فما حاجته إلى تقليد أجنبي " ؟ [52] .

وتعدد الزوجات قضية تشغل بال بوسا رفكا دي إيلحنان ، بطلة قصة " بكدوشا " من المجموعة القصصية " نشيم " (نساء) ، فقد مر على زواجها من الحاخام يعكوف حاي خمس عشرة سنة ولم تنجب فيها . وقد قادت مدة العقم الطويلة هذه رفكا إلى الاعتقاد بأن الله لم يشأ ن أن ينعم عليها بشرف حمل أبناء زوجها [53] . فتجيب رفكا بأنها تعي ما قد يجلبه قدوم زوجة ثانية على البيت من متاعب ، فمثال سارة وهاجر لا يغيب عن ذهنها ، ولكنها تدافع عن نصرفها هذا بأن ما تفعله هو امتحان من الله ليتم الكشف من خلاله عما إذا كانت قادرة على إصلاح الخلل في أسرتها [54] .

وبعد نجاحها في الحصول على الموافقة المبدئية من أم الفتاة التي تأمل أن تصبح الزوجة الثانية لزوجها ، فاتحت أخا زوجها الحاخام يوسف في الموضوع في اليوم التالي ، ولكن الفكرة لم تلق استحسان الحاخام يوسف ، واستغرب من إصرار امرأة أخيه على تحمل مسؤولية ثقيلة لا يرى أن التوراة تكلفها بها ! . فهو يرى أن بإمكانها أن تصلي لله ، فلم التحول عن ذلك إلى الإقدام على الفعل ؟

فتجيب رفكا بأنها أرادت أن تفعل عملا طيبا ، فيرد الحاخام يوسف بأن ذلك عمل صالح ولا شك ، ولكن عاقبته وخيمة ويذكر رفكا بقصة سارة وهاجر وقصة ليئة وراحيل [55] ، وعلى الرغم من أن رفكا تدرك صحة وجهة نظر يوسف ظلت تدافع عن وجهة نظرها نفسها زاعمة بأنها عندما أقدمت على مثل هذا السلوك كانت تنطلق من نفس المبدأ إلى تصرفت على أساسه أولئك النسوة اللاتي تقدم ذكرهن ، وأنها تريد في الوقت نفسه " أن تأسو قلبا جريحا ،وتقدم له السلوى " [56] ، ويستمر النقاش بين رفكا والحاخام يوسف وكلاهما يحاول أن يقنع الآخر بصحة وجهة نظره وقوة حجته ، ولكن

---

[51] يصاحيم ، 118 أ .
[52] يهودا بورلا " لونا " ، ص . ، 147 – 148 .
[53] يهودا بورلا " بكدوشا " ، ص ص . ، 147 – 148 .
[54] المصدر السابق ، ص ص . ، 148 – 150 .
[55] المصدر السابق ، ص ص 153 – 156 .
[56] المصدر السابق ، ص . 156 .

عندما أخبرت رفكا الحاخام يوسف بأنها أعطت الموضوع قدرا كبيرا من التفكير ، وأنها تعي وعيا تاما جوانب الخير والشر فيه ، فاجأها الحاخام قائلا:

وماذا أردت أن تسمعي مني ؟ هل كنت تتخيلين أن أنصحك بذلك ؟ أنت مخطئة ، هذا مالا أنصحك به ، بل على العكس ، فأنا لا أنصحك بهذا [57] .

عندئذ أفصحت رفكا للحاخام يوسف عن السبب الذي دعاها إلى الدخول معه في مثل هذا النقاش ، فقالت :

أما ما أردت أن أتحدث إليك فيه فهو ، أولا : أيباح لي من وجهة نظر التوراة أن أنفذ هذه الرغبة أم لا ؟ وها أنذا قد سمعت – حمداً لله – أن التوراة وإن لم تحملني مسؤولية القيام بهذا الأمر ، فهي لا تحرم علي تنفيذه ، هذا ما أردت معرفته . وثانيا : إنه من الواجب علي أن أعلم كبير العائلة برغبتي الصادقة في هذا الأمر [58] .

ولكن استعراضنا لمواقف شخصيات بورلا المختلفة من الدين والمعتقدات الدينية لن يكتمل إلا بالنظر في تفسيرات داود حداد الغريبة لبعض آيات الكتاب المقدس . فبعد خيبة أمله المرة من زواجه الفاشل ، يتولد لدى داود اهتمام بنساء أخريات من جيرانه ، وقد انصب اهتمامه على ثلاث نساء ، الأولى : فتاة سفاردية تدعى رجينا ذات جمال متواضع . وأما الثانية : فقد كانت أرملة أرمنية ، وأما الثالثة : وهي التي تستحوذ على القدر الأكبر من اهتمامه ، فقد كانت يهودية أشكنازية ، متزوجة وكانت ذات جمال أخاذ وكانت تقيم هي وزوجها في الحارة نفسها التي يقيم فيها داود نفسه [59] ، وأما زوجها ليزرينكل ، فقد كان يملك بقالة في حارة اليهود في القدس ولكنه مع ذلك كان رجلا ذا علم ، فهو يقرأ في التلمود كل يوم سبت ، وأما داود فكان على العكس من جاره العالم ، إذ كانت معرفته التلمودية هزيلة ومعرفته بالكتاب المقدس لا تتجاوز بضع عبارات

---

[57] المصدر السابق ، ص . 157 .
[58] المصدر السابق ، نفس الموضع .
[59] يهودا بورلا ، " إشتوها سنوآه " ، ص 45 .

متفرقة من أسفار مختلفة من الكتاب المقدس ، وعندما يجد في نفسه ميلا للقراءة فإنه يقرأ إصحاحاً أو إصحاحين من سفر المزامير في يوم السبت [60] .

ومع ذلك ، فقد كان داود يحب أن يمازح جاره من وقت لآخر ، كما اعتاد أن يلقي عليه بمختلف الأسئلة والألغاز ، محاكيا في ذلك أسلوب التلمود ، ويبلغ عبث داود مع جاره وسخريته منه الذروة عندما يبدي له الملاحظات التالية :

أنظر يا حاخام ليزرينكل – إنها لمفارقة ... مفارقة أنت قصير القامة ، نحيف البنية وبشرة وجهك داكنة ، أما حية سارة فهي طويلة ، بدينة وبيضاء ، وأما أنا فطويل ، وشاب أبيض البشرة ، وأما هي ، راحيل ، فقصيرة القامة وذات بشرة داكنة ، ربما كان من الواجب علينا أن نتبادل – ألا يجب علينا ذلك ؟

لأنه مكتوب " إن الشر موجود في كل ما يقع تحت الشمس " ، (سفر الجامعة ؛ 9 : 3) [61] ، ولا يملك ليزرينكل إلا أن يضحك لدى سماعه بفكرة تبادل الزوجات التي يطرحها عليه جاره الغريب الأطوار ، ولكن الأسئلة التي يطرحها داود على جاره ليس لها حد ، وفي إحدى المرات طرح داود على ليزرينكل السؤال التالي :

أين نجد في التوراة ما ينص على أن ارتكاب الخطيئة خير ... ارتكاب الخطيئة خير ، هه ؟ ويؤدي هذا السؤال إلى مناظرة غريبة بين الرجلين وقد جرت على النحو التالي :

- ارتكاب الخطيئة خير .. وكيف ذلك ؟ الأمر على النقيض من هذا تماما .

- لقد ورد النص يا ليزرينكل على أن " الماء المسروق حلو ، والخبز المأكول في السر لذيذ هه ؟ [62] .

- ما الذي يشير إليه النص يا ليزرينكل ؟

- بالفعل .. لا بد من النظر هناك .. فالمعنى واضح .

- وإليك الجواب : الخبز يعني النساء .

---

[60] المصدر السابق ، ص . 46 .
[61] المصدر السابق ، ص . 47 .
[62] سفر الأمثال ، فقرة : 9 ، إصحاح : 17 .

- ته ، ته ، ته ... هذا رائع .

- الخبز يعني النساء – أنه مكتوب " هي تجلب طعامها من مكان بعيد (الأمثال : 14 : 31) [63] .

وقد تبدو ملاحظات داود وأسئلته وتفسيراته الغريبة لآيات الكتاب المقدس مضحكة ومثيرة للسخرية ، إلا أنها انطوت على معاني عميقة ، فهي تؤكد الأزمة الناشئة عن زواج غير سعيد مع امرأة محرومة من الجمال ، كما أنها تؤكد ميل داود القوى نحو ممارسة الرذيلة .

وربما قاد التحليل السابق للمواقف المختلفة الشخصيات بورلا تجاه المعتقدات والشعائر الدينية إلى أخذ الإنطباع بأن الكاتب قد قصر اهتمامه على اليهودية والإسلام ، ولكنه في الواقع يتعامل مع أديان المشرق العربي الثلاثة ، إلا أن معالجته للتقاليد والشعائر والمعتقدات الخاصة بكل دين تعكس درجات متباينة من الألفة بهما وفهمهما وطبيعي أن يكون الكاتب على ألفة شديد اليهودية ، لا لأنه يهودي فحسب ولكن بسب خلفيته الفريدة أيضاً (سبق الحديث عنها أنفا في المقدمة) .

ولقد الفينا بورلا كما رأينا في التحليل الذي تقدم ، يقوم بدور الذي يسجل ما يقع تحت بصره ولا يكاد يبدي وجهة نظر شخصية في ما يسجله ، وإن عن له أن يبدي رأيا فإنما يكون ذلك بشكل خفي وتعليمي ، ويبدوا هذا واضحاً من تصويره بعض المواقف الغريبة البشعة أو المضحكة والمجالات الغريبة ووجهات النظر الشاذة التي تصدر بعض شخصياته .

وعلى أية حال ، فإن الموقف يتغير عندما يتعرض بورلا للمسيحية في الجزء الأول من روايته الضخمة " بت تصيون " (بنت صهيون) ، فهو يقوم هنا مؤقتا بدور الناقد الذي يتناول بعض الأفكار المسيحية ويبدي فيها وجهة نظر شخصية ، ويصبح الحديث عن الموضوع مناسبا عندما تلتقي بطله الرواية ، روزا رودوفيتش وهي طالبة

---

[63] يهودا بورلا ، " إشتوها سنوآه " ، ص ص . 47 – 48 .

يهودية في مدرسة سانت جوزيف التابعة للإرسالية الفرنسية بإحدى مدرساتها وتدعى الأخت أوديت .

وكمقدمة للقاء بين الطالبة ومدرستها والنقاش اللاحق حول المسيحية الذي يجريه الكاتب من خلال بطله الرواية يعطينا الكاتب تقريراً كافيا عن خلفية البطلة والصراع الذي يعتمل داخلها .

وبطلة الرواية روزا هي نتاج زواج مختلط ، فأبوها اشكنازي وأمها يهودية سفاردية ، وأما البيت فيخيم عليه الحزن بسبب سلوك أبيها المنحرف ، فهو رجل يجري وراء الملذات وزوج مستبد ، وفي هذا اليوم الذي كان من المتوقع أن تلتقي فيه روزا بمدرستها أوديت تناهى إلى سمعها جدال يدور بين والديها .

وينتهي هذا الجدال بين الزوجة وزوجها بمحاولة الأخيرة خنق زوجته بيديه ، ولكن يشاء الحظ أن يهب رجلان من الجيران لنجدة المسكينة وتخليصها من زوجها .

وعندما تلتقي روزا بأوديت ، تخبر الأخيرة روزا بأنها طالما تاقت إلى أن تكون بينها وبين روزا علاقة وطيدة ولكن نظم المدرسة وقوانينها لا تسمح بمثل هذه العلاقة بين مدرسة وطالبة .

أما وأن روزا قد أنهت دراستها وتخرجت من المدرسة فقد أصبح بمقدورها هي ومدرستها أن تقيما علاقة حميمة بينهما .

ومع تطور العلاقة ونموها بين الفتاة ومدرستها السابقة تفصح أوديت لروزا عن السبب الذي حدا بها إلى دعوتها ، وتدعى أوديت أنها لاحظت أن هناك حزنا غامضا يعلو وجه روزا .

كما تلاحظ الراهبة آثاراً قوية لانكسار محفورة على وجه روزا ، وأن هذا الانكسار يشبه الانكسار المسيحي الكامل ، وأنه يلاحظ أيضاً بشكل عام في كلامها وفي صمتها أيضاً ، ولهذا السبب دعت روزا حتى تخبرها الأخيرة عن مشاكلها الشخصية ، إن رغبت هي في ذلك حتى تتمكن المدرسة من مساعدتها ، وقد أثرت هذه الكلمات الرقيقة في روزا فانفجرت باكية .

وما إن ينتهي ذلك الموقف العاطفي حتى تشرع روزا في تقديم ملخص عن جو بيتها المأساوي لأوديت ، وتبدي أوديت إعجابها الشديد بهذه الفتاة التي تعيش في ظروف اجتماعية سيئة وتحمل آلامها في صمت ، وتستغل أوديت هذا الضعف العاطفي الذي يعتري روزا فتقترح عليها ، في اعتذار ولكن دون ريب ، قائلة :- من الأفضل لك أن تطلبي العون من يسوع المخلص ، إنه الوحيد القادر على أن يخفف عنك حملك ، وإن حمل كروب الجنس البشري وآلامه مهمة ملقاة على عاتقه هو وحده ، وبإمكانك أن تعتمدي عليه وأن تثقي به . [64]

وتمضي أوديت إلى المطبخ تاركة روزا لتستعيد سيطرتها على عواطفها ويعود إليها هدؤها وتفكر في الاقتراح الذي قدمته إليها .

وعلى الرغم من أن الاقتراح يأتي كصدمة لروزا التي تصاب بخيبة أمل في مدرسة تكن لها أكبر الإحترام وتنكر عليها مثل هذا الموقف ، ففي الوقت نفسه يدفعها إلى إتخاذ موقف نقدي تجاه مجتمعها هي ، فتشرع روزا في عقد مقارنة بين أحوال المسيحيين النصارى وأحوال اليهود .

فهي ترى في المسيحيين قوما ذوي مجد وحضارة ، وأن الفضل ينسب إليهم في ما تستعمله من مخترعات حديثة كثيرة ، بينهما لا ترى روزا في قومها اليهود إلا رمزا للفقر ، والانحطاط ، والجهل والقبح [65] ، وهذا التضاد بين صورة المسيحية الراقية وصورة اليهودية الوضعية تراه روزا منعكسا أيضاً في دور العبادة ، فالكنيسة المسيحية تبدو فخمة ، بينما يبدو الكنيس اليهودي مزريا ويبعث على اليأس .

وهذا الموقع الكئيب الذي تعيش ثقافتها وبيئتها يسبب لها الحزن العميق . ثم تمضي روزا من هذه المقارنة العامة بين الثقافتين إلى مقارنة أفكار معينة فيهما ، فهي تجد أن كلا من المسيحية واليهودية تشتركان في مسألة الإيمان بالمسيح ، إلا أن المسيح النصراني يختلف عن المسيح اليهودي فالمسيح النصراني وراء ل الخير الذي ينعم به

---

[64] المصدر السابق ، ص . 72 .
[65] المصدر السباق ، نفس الموضع .

أتباعه ، أما المسيح اليهودي فلا يعد بأي خير في هذه الدنيا ، لأن كل الوعود الطيبة ينتظر أن تحقق في الحياة الآخرة ، وحتى فكرة الحياة الآخرة أو العالم الآخر لا ترى فيها روزا إلا إسطورة ابتدعها شخص شديد البؤس لحاجته إلى العزاء وإلى التخفيف من أحزانه العظيمة ، ولكي يجنب نفسه الحرج عندما يطالب بالبرهان على ما يقول فقد جعل الاختبار في المستقبل البعيد ، وخارج هذه الحياة [66] .

ومهما يكن من أمر رأي روزا في المسيحية وفي مدرستها أوديت فقد قررت روزا أن تطرح مشاعرها تلك وتنحيها جانباً ، وأن تأخذ تجاه اقتراح أوديت موقفاً إيجابياً ، لأنها وعت أهمية الاستماع للطرف الآخر ، أرادت أن تغتنم هذه الفرصة التي سنحت لتستمع إلى وجهة النظر المسيحية من شخص مسيحي ، ولتعرف حقيقة هذا الذي يدعونه " يسوع " ، هذا الإسم الذي خلق في أعماقها إحساساً بالرفض ، وقد بررت روزا هذا التحول في موقفها بالآتي :

إذا كان هذا الاسم خاليا من أي معنى – كما يظنون جميعا بما فيهم هي نفسها – فما الذي تخشاه ؟ ما الجرم في أن تستمع إلى ما تريد الراهبة أن تقوله ؟ هناك مثل أسباني يقول : " عندما نقول : نار ، فإن أفواهنا لا تحترق " ، وإن كان هناك كشف جديد فهي تود أن تعرفه وتفهمه وتستفيد منه . [67]

وتستغل روزا المناسبة فتطرق موضوعاً ذا صلة وثيقة بموقفها ، وتعمد إلى تصنع السذاجة فتسأل أوديت :

هل هناك أشقياء ومساكين بين المسيحيين ؟ وهل كل المسيحيين سعداء في حياتهم ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يشقون ويعذبون أنفسهم ، إذا كانوا كما هو واضح ، يعتمدون على يسوع ويؤمنون به أشد الإيمان ؟ [68]

وكغالبية شخصيات بورلا الملتزمة دينياً ، تجيب أوديت سائلتها بجواب مسهب يمكن إيجازه في العبارات الآتية :

---

[66] المصدر السابق ، ص . 78

[67] المصدر السابق ، ص . 78 .

[68] المصدر السابق ، نفس الموضع .

كثير من المسيحيين يتحملون الألم والشقاء في حياتهم ، ولكن إيمانهم بيسوع يمنحهم الأمل والراحة ، إن الراحة والأمل الحقيقيين لا يتحققان إلا في الآخرة وعن طريق الإيمان بيسوع ، إن الإيمان بيسوع هو السبيل إلى إدراك عظمة الله وصفاته ، وهناك في الحياة الآخرة تكشف الأسرار للمؤمنين بيسوع ، ولذلك فإن الإيمان بيسوع هو الجسر الوحيد الذي يستطيع المرء عبره الوصول إلى عالم الحقيقة . [69]

ولم يغب عن بال أوديت أن تخبر روزا بأنها لا تنوي أن تفتنها في دينها ، فكل ما أرادته الراهبة كما تدعي ، هو أن تكتسب روزا معتقدا جديدا إلى معتقدها القديم ، ومهما يكن من أمر فقد ازدادت خيبة أمل روزا ، لأنها أدركت أن أوديت لم تقدم لها سوى أفكار قد رفضتها هي في دينها اليهودي ، ففكرة تقسيم العالم بين يعقوب وعيسو ، حيث اختار الأول الدار الآخرة ، تبدو معادة هنا ، ولكن بأسلوب جديد ، وكلمات أوديت تذكر روزا كيف أنها كانت تجد اختيار يعقوب للدارة الآخرة مثيرا للسخط وملغزا لأنها كانت تراه غير منطقي ، ولكنها الآن قد وعت أن تقسيم العالم المذكور آنفا قد تم وأن لا سبيل إلى تغيير ذلك الموقف ، كما أصبح يتعين عليها أن تدرك أن " العالم الآخر أو الدار الآخرة " فكرة مركزية في المسيحية ، ولكن أن تقف هي من ذلك كله ؟ [70]

ولم يغب عن بال أوديت أن الوفاء بحاجات الشابة المعذبة روزا أمل لا يمكن تحقيقه في جلسة واحدة ، ولذلك أعطتها خمسة كتب لتقرأها في البيت وهي الآتية : " على درب يسوع " أو " العهد الجديد " و " فكرة الحياة " وجوهر السكينة " و " طريق الروح " [71]

وعلى أية حال ، تدخل روزا هذه الكتب إلى بيتها خفية ثم تشرع في قراءتها ، ويشرح الراوي سبب هذا الحماس من جانب البطلة روزا نحو قراءة الكتب الأنفة الذكر بقوله :

---

[69] المصدر السابق ، ص . ص ، 80 – 81 .
[70] المصدر السابق ، ص . ص . ، 80 – 81 .
[71] المصدر السابقة ، ص . 88 .

هذه القراءة لم تكن من باب الفضول فقط ، ولكنها كانت بدافع بحث شجاع عن مبادئ ، وعن أصالة وعن الحصافة وعن قيم راسخة في الحياة ، وهي بسبب (مصير) مظلم ، مضطرب لا يمكن تبريره ، (قد ألقيت في ركن مظلم) بسبب انعدام القيم ، فكانت تبدوا وكأنها تطفو وقد القي بها في خضم أحداث حياتها الأليمة وكأنها في وسط ذبذبات (اهتزازات) أبدية ، وفي خضم اضطرابات عمياء وظروف مذهلة لم تكن في الحسبان ومتأرجحة ، فقد بحثت في أعماق نفسها علها تمسك بيديها شاطئ الأمان ، وكما تاقت إلى أرض صلبة أينما كانت ، بشرط أن تكون محسوسة تطؤها القدم مباشرة ، لكي تملأ الروح بالشعور بالأمن واليقين [72].

وعلى أية حال ، فبعد الانتهاء من قراءة هذه الكتب ، تكونت لدى روزا الأفكار التي يمكن تلخيصها فيما يأتي :

1- لقد قدمتها هذه الكتب إلى عالم ، على الرغم من كونه غير معروف لديها من قبل ، فإنه ليس بالمدهش ولا بالغريب ، وهو علاوة على ذلك غير ضروري وشاذ .

2- كما اكتشفت أن يسوع ليس سوى يهودي بسيط من منطقة الجليل دخل في جدل مع بعض أفراد طائفة الفريسيين [73] ، حول بعض القضايا الدينية والقانونية اليهودية .

3- من بين الكتب الخمسة التي قرأتها وجدت أن كتاب " على درب يسوع " الأكثر إمتاعا ، وعلى الرغم من كراهيتها للخوارق التي في الكتاب ، وجدته أكثر استثارة للاهتمام من " العهد الجديد " ، لأنه يعكس يهودية بيتها هي .

كما وجدت شبها لافتا للنظر بين هذا الكتاب وبين كتاب أمها المقدس إلى درجة أنه لو ترجم الكتابان من الأسبانية إلى الفرنسية لظهرا وكأنهما واحد . وفوق ذلك ، الكتاب المسيحي مكتوب بأسلوب جزل ومن خلال ابن الله ، بينما هي قد اعتادت سماع هذه المسائل (الأمور) في البيت ودون وسيط .

---

[72] المصدر السابق ، ص . 152 .

[73] الفريسيون هم حزب ديني أو فرقة دينية ظهرت في فترة المعبد الثاني وازدهرت في الفترة ما بين عام 165 وعام 160 قبل الميلاد اعتبر الفريسيون أنفسهم الأتفاع التقليديين للنبي عزرا الذي احتل من أنفسهم المكانة الثانية بعد موسى ، واعتبروه مؤسس اليهودية من بعد موسى . وقد جعلت هذه الطائفة التلمود إلى جانب التوراة مصدراً لمذهبها . كان أتباع هذه الفرقة يؤمن بالجمع بين فكرتي الجبر والاختيار وبالبعث بعد الموت والجزاء في الآخرة. كان عدد الفريسيين قليلاً نسبياً في بداية أمرهم لكن شعائرهم ومواقفهم الإجتماعية حققت انتشاراً واسعاً بين السواد الأعظم من اليهود في القرن الأول الميلادي واجتهدت هذه الفرقة في تطويع القوانين والشرائع القديمة لظروف الحياة الجديدة (1) .

4- وعلى الرغم من أن روزا لم تجد المسيحية سوى صورة مشوهة عن اليهودية ، وأن اليهودية أرقى من المسيحية ، فإنها لم تكن مقتنعة بأي من الديانتين [74] .

وعلى أية حال فإن الجدل حول تفوق اليهودية على المسيحية يطرأ عليه بعض التعديل في قصة " حازون بطرس " (رؤيا بطرس)في المجموعة القصصية " لكول ها تصعدا " (على وقع الخطي) (رامات جان 1965) .

وبطرس ماهون هو صائغ ذهب وساعاتي مسيحي عربي [75] ، تنشأ بينه وبين يهودي يدعى ميخا عزري علاقة عندما يأتي الأخير إلى دكان بطرس ليقتني ساعة . وينتقل الحديث بين بطرس وميخا من موضوع البيع والشراء إلى موضوع العلاقات العربية اليهودية . ولدهشة ميخا أنه وجد لدى بطرس اهتماما كبيرا بالتجربة اليهودية في فلسطين وأنه يبدي تعاطفا كبيرا نحو فكرة إنشاء وطن قومي يهودي . وعندما عاد ميخا إلى الكيبوتس قص على زملائه خبر هذا العربي المسيحي بطرس ، واقترح عليهم دعوته إلى الكيبوتس . ولكن اقتراح ميخا قوبل بالرفض على أساس ان الأعضاء لا يعرفون شيئاً عن هذا الشخص . فاكتفى ميخا بأن بعث برسالة إلى بطرس تضمنت ، من بين عدد من الأمور ، بضعة أسئلة عن خليفة الأخير ، ورأيه في الدولة اليهودية وما إذا كان هناك آخرون من المسيحيين العرب يشاطرونه آراءه في اليهود .

وفي رسالة جوابية إلى ميخا يجيب بطرس عن الأسئلة الآنفة الذكر باختصار . ويبدوا أن ذكرياته عن الفترة التي درس فيها " العهد القديم " و " العهد الجديد " على والده ومقارنته بين الكتابين المقدسين أكثر ما جاء في الرسالة صلة بموضوعنا .

<u>يقـول بطـرس :</u>

ما زلت أذكر حتى هذا اليوم أنني سمعت أبي يقول : إن الأسفار في العهد القديم حتى صراخ الأنبياء يرف حوله صمت عظيم . أما في العهد الجديد ، فإنها عندما تتحدث بصمت يتعالى منها هدير . في رسائل الحواريين فقط الصوت الصامت الذي

---

[74] يهودا بورلا ، " بت تصيون " ، ص . ص ، 155 – 157 .

[75] بطرس ، كما هو واضح في النقاش في الصفحات : 54 – 55 ، 76 – 77 ، على إلف ومعرفة بالديانات الثلاث ولكن اهتمامنا هنا منصب على موقفه من كل من الديانتين ، اليهودية والمسيحية .

يدخل (يتسلل) إلى القلب مباشرة ، يمكن أن يسمع . وهناك في العهد القديم ، الكلمات تشبه معروضات جميلة في معرض ومن كانت له عينان مفتوحتان يمكنه أن يرى ويبتهج ، وأما هنا فإنها كما لو كانت تعلن من كل صوب عن البضاعة المعروضة للبيع . العهد الجديد بمجمل أسفاره يقف كقصر فخم شامخ ورحب جدا ، بينما العهد القديم ، يشبه بناء عظيما يبدو من الخارج عاديا ولكنه من الداخل بممراته ، وأبوابه ، وشبابيكه غير عادي [76] .

وعلى الرغم من أن آراء بطرس هنا تبدو بشكل عام تكرارا لوجهة نظر روزا في أسسها فإن الطريقة التي طرحت من خلالها تعكس تعاطفا متناميا مع المسيحية . فوق ذلك ، ينسب بطرس في نهاية النقاش إلى المسيحية الأصالة .

وقبل أن نشرع في تحليل تناول بورلا للمعتقدات والشعائر الإسلامية ، يجب علينا بادئ ذي بدء أن نفرق بين موقفه من الإسلام في كتاباته المبكرة وبين موقفه منه في كتاباته المتأخرة .

وتبدو قصة " بلي كوخاف " أفضل الأمثلة لكتابات بورلا المبكرة التي تصور موقفه بوضوح تجاه الإسلام . والقصة لا تعكس عدم إلفه التام بالأفكار الإسلامية وتأثيرها على الحياة في المجتمع المسلم فقط وإنما تكشف عن خلطة بين الأفكار الإسلامية اليهودية .

ولقد ناقشنا أنفا الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذي ذكره الراوي لنا على أنه كان السبب في نجاة " عبد " ، بطل القصة من الموت . وهذا الحديث أو هذه الوصية المختلقة وكذلك اللعنة المتوقع لها ان تنصب على من يخالفونه هما أمران مبنيان على نصين في الكتاب المقدس . فصياغة الوصية التي تقول : " لن ينمحي قطيفي من على وجه الأرض " [77] ، في الواقع مبنية على آية مشهورة في الكتاب

---

[76] المصدر السابق ، ص . 54 .
[77] يهودا بورلا ، " بلي كوخاف " ، ص .

المقدس والتي تقول : " حتى لا يفني الفقير من على وجه الأرض " [78] ، وأما المحتوى فهو بمني على قصة مشهورة من سفر القضاة .

وتتحدث هذه القصة عن أحد أفراد قبيلة لاوي الذي كان يعيش في منطقة إفرايم الذي استبيحت جاريته وقتلت على يد جماعة خارجة على القانون من قبيلة بنيامين . وقد وقع الحادث في بلدة يقال لها : جبعة ، عندما كان هو وخادمه وجاريته يبيتون في بيت رجل من قبيلته نفسها ، قبل أن يواصلوا رحلتهم إلى بيت لحم . وقد كانت نية العصابية منصبة على هتك عرض الرجل اللاوي نفسه ، ولكن بعد أن أبدى صاحب الدار شيئاً من الدبلوماسية تم تسليم الجارية في النهاية إلى أفراد العصابة .

وما إن خرج اللاوي من دار مضيفة ليواصل رحلته حتى وجد جاريته مقتولة ومرمية على عتبة الدار . فحملها وعاد بها إلى داره وهناك قطع الجثة إلى اثنتي عشرة قطعة ، وأرسلها إلى تخوم أرض إسرائيل . ولما علم بنو إسرائيل بالحادثة اشتد بهم الغضب وبعثوا إلى بنيامين يستنكرون الحادثة ، ويطلبون تسليم الجناة إليهم . ولكن بني بنيامين رفضوا طلب إخوانهم ، وعلى إثر ذلك اجتمع بنو إسرائيل في متسبا وقرروا إعلان الحرب على بني بنيامين ، وبعد ثلاثة أيام من القتال الضاري أشرف البنياميون على الفناء ، ولم ينجح منهم إلا ستمائة فرد وهم الذين فروا ولاذوا بصخور ريمون ، وما إن وضعت الحرب أوزارها وأخذت الأمور تستقر حتى بدأ بنو إسرائيل في إدراك حجم الكارثة التي حلت بهم : قبيلة بأكملها من بني إسرائيل قد فنيت . (قد أضحت على وشك الفناء) ولم يكن أمام بني إسرائيل سوى خيار واحد فقط وهو عقد صلح مع الرجال الستمائة الناجين من قبيلة بنيامين وتوفير زوجات لهم . ولم يكن هناك مشكل في عقد صلح مع الناجين من قبيلة بنيامين ، ولكن بني إسرائيل وجدوا أنفسهم أمام معضلة ، عندما وصل الأمر إلى تزويج بناتهم للبنياميين ، وذلك لأنهم كانوا قد أقسموا للرب ألا يزوجوا بناتهم لأي بنياميني رداً على رفض البنياميين تسليم المجرمين لهم . وللتغلب على هذه المشكلة ، تم التواصل إلى قرار ، وهو أن يقتل كل من تخلف عن

(78)

الإجتماع في متسبا وكان أهل مخيم يابيش جلعاد هم القوم الذين لم يحضروا الإجتماع ، وبعد قتل كل الرجال والنساء المتزوجين وجد بنو إسرائيل أربعمائة عذراء فقط . ولتعويض أو استكمال العدد الناقص وهو مائتا عذراء أمر بنو بنيامين بأن يخطفوا عدداً من الفتيات من بلدة شايلوه وأن يحضروهن إلى ديارهم فنفذ بنو بنيامين الأمر [79] .

وعلى أية حال لم يلتزم بورلا حرفيا بتسلسل الأحداث الأصلي للقصة كما وردت في الكتاب المقدس ، ولكنه استخدم عناصرها حيثما وجد ذلك مفيدا في موضوعه العربي . ولذلك فالقارئ لا يصبح على إلف بالوصية المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أولا ، ولكن مع اهتمام الشيخ فرحان ، شيخ قبيلة الحفاني ، الغامض بتزويج " عبد " . وقد لاحظ عبد منذ بداية سن المراهقة أن الشيخ فرحان يبدوا جاداً في أمر تزويجه من إحدى إمائه وهو ، الأمر الذي طالما رفضه " عبد " بشدة [80] ، ولم ييأس الشيخ من إمكانية تغيير رأي عبد في مسألة الزواج فأعاد اقتراحه القديم ، ولكن بعد أن أجري عليه بعض التعديل ، فاقترح عليه أن يزوجه بامرأة من إحدى القبيلتين : بني مدني أو بني زواد . كلتا القبيلتين تعتبر من القبائل ذات الأصل المتواضع في نظر الشيخ فرحان وأبناء قبيلته . وقد رفض " عبد " هذا الاقتراح الجديد أيضاً . ولم يفهم عبد سر قلق الشيخ ولهفته على تزويجه . ومهما يكن من أمر فقد أوضح الشيخ فرحان لعبد ذات يوم أن له مطلق الحرية في أن يذهب أينما شاء ، شريطة ان ينجب طفلين على الأقل [81] . ولم يفهم عبد مغزى شرط الشيخ الغريب إلا بعد أن التقى بأبي كامل الخطيب . وكان الشيخ فرحان آنذاك يهدف إلى تحقيق أمرين :

1- إحياء قبيلة عبد ، وذلك لأنه كان الناجي الوحيد منها ، ولتجنب مخالفة الأمر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لئلا يهلك هو وقومه .

---

[79] المصدر السابق ، الإصحاحات من 19 إلى 21 .
[80] المصدر السابق ، الإصحاحات من 19 إلى 21 .
[81] المصدر السابق ، الإصحاحات من 19 إلى 21 .

2- ليضمن عبودية قبيلة الفتى لقبيلته ، وعلى الرغم من أن جهود الشيخ من اجل المحافظة على قبيلة عبد كانت صادقة ، للأسباب التي سبق شرحها ، لم يشأ أن تكون بينه وبين أولئك الذين يكرههم روابط مصاهرة .

ومن التحليل السابق لموضوع بورلا العربي وخلفيته المستمدة من الكتاب المقدس ، نستطيع أن نلخص إلى النتائج التالية :

أن الكاتب قد أخذ العناصر الأساسية من القصة الواردة في الكتاب المقدس واستخدامها في وضع معكوس كما عكس موضع الثقل في موضوعه العربي ، فقلق بني إسرائيل ولهفتهم على المحافظة على قبيلة بنيامين تصدر عن عاطفة الأخوة ، ولكن رفضهم في ان يزوجوا بناتهم للناجحين من بني بنيامين يعتمد على قسم مقدس كانوا أقسموا به للرب . واما الحال في موضوع بورلا العربي فهو العكس من ذلك ، فلهفة الحفاني على الحفاظ على قبيلة القطيفي ، كما يعكسها سلوك الشيخ فرحان ، تنبع من احترامهم ومهابتهم لحديث مقدس ، بينما ينبغ رفضهم تزويج عبد من إحدى نسائهم الحرائر من عداء قديم ومنافسة بين قبيلتين .

* * *

وعلى الرغم من أن القول الأنف الذكر والمنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليس حديث صحيحا ، فإن هذا الأمر لا يعتبر خطأ فاحشا من جانب المؤلف ، إذ إن هناك أحاديث كثيرة موضوعة ومنسوبة إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولكن الخطأ الفاحش الذي يعكس معرفة غير جيدة بحدود سلطة النبي في الإسلام هوجعل سلطان للنبي مساويا لسلطان الله . وهناك ثلاثة مواضيع تصور هذا الأمر خير تصوير وهي :

1- كان عبد يجز صوف الغنم ذات مرة وصادف أن كانت نهورا وأمها تراقبانه وكان منهمكا في عمله والعرق يتصبب منه ، فحيته المرأتان وقالتا له على سبيل المدح والرغبة في شحذ الهمة : " ليرض عنك الرب ولتحل عليك بركة النبي " [82]

[82] المصدر السابق ، ص . 30 .

2- وأما الموضع الثاني فهو عندما التقى عبد بأبي كامل الخطيب وطلب منه المساعدة في خطف نهورا والزواج منها ، فوعده الأخير بالمساعدة وقال : " .. وبعون الله وبرحمة النبي ، سوف أفعل ما هو خير وسوف أجعلك تنجح " [84] .

3- واما الموضع الثالث فهو عندما أوشك لقاء عبد مع أبي كامل على النهاية عبر عبد عن أحاسيسه بالآتي : " وما إن سمعت قصصه حتى قلت : ها قد بعث به النبي لمساعدتي " [84] .

وكما لاحظنا مما سبق ، فإن الأفعال الي ينسبها عبد إلى النبي تتعارض مع فكرة الإسلام عن النبي وسلطانه ، فسلطان النبي انقطع بموته ، ولكن سنته كما هو واضح ، يجب أن تتبع من قبل المسلمين .

وأما الفترة الثانية في كتابات بورلا التي تضمنت معالجة موضوعات إسلامية فكانت بعد نفيه إلى بلدة الكرك من قبل السلطات التركية في أثناء الحرب العالمية الأولى . ففي هذه المرحلة يبدي الكاتب إيثاراً شديدا لاستخدام اللغة الدينية على تفريغ الفكرة في قالب درامي عندما يعمد إلى تصوير شخصية مسلمة أو مناسبة إسلامية . لذلك كانت هوية شخصياته المسلمة في الغالب ضحلة وتنقصها الأصالة . ووصف شخصية القروي العربي الذي أقام في بيته رواي قصة : " بين شفطي عراف " (بين قبائل العرب) والذي أقامت فيه أسرة يهودية أيضاً أفضل مثل لذلك . وقد وصفه على النحو الآتي :

وهناك في البيت أقام عربي جليل يبلغ من العمر حوالي الستين عاماً ، تقي وروع ، ومعنى ذلك أنه يجيد قراءة القرآن ويصلي خمس مرات في اليوم [85] .

وإن كان وصف الرجل المسلم ، كما تصوره القطعة السابقة ، يبدوا ضحلا ، وصف المرأة المسلحة التي لم يكن للكاتب بها أية صلة تقريبا أكثر ضحالة . فالمرأة

---

[84] المصدر السابق ، ص . 107 .
[84] المصدر السابق ، ص . 109 .
[85] المصدر السابق ، في " بلي كوخاف " ، ص . 207 .

المسلمة العفيفة توصف بأنها امرأة ترتدي حجابا ، فالحجاب يلخص ما هي المرأة المسلمة .

وعلى أية حال ، الموقف السابق يطرأ عليه تغير ملحوظ بالأعمال المتأخرة . ففي رواية " سنونيت ريشوناه " (طائر السنونو الأول) التي تدور حول حياة وصراع امرأة عربية مسلمة وصراعها ، يطرق الكاتب بشكل مختصر ولكن دقيق موضوعات منها : مكانة المرأة في المجتمع المسلم ، والزواج والحجاب .

وكما أسلفت القول في المقدمة عن شخصيات بورلا قد كان لدى بورلا اهتمام بالغ في خلفية شخصياته . فعندما شرع في رسم شخصية ميمونة ، عمة البطلة وصفها بالآتي : وبمرور الزمن ، وبمضي عقد من الزمن أخذت صورة الابنة ميمونة (بعد موت أخيها الأكبر جلال الدين ، وأكبر أبناء الأسرة وموضع فخرها) بوصفها وريثة أبيها في شهامته ، وسعة أفقه واستقامته كانت تعامل من الأسرة كالآلهة ، ظاهرة فريدة بين العرب ، وذلك لأن كلمتها كانت محل تقدير وحكمها كان يحترم ويطاع [86] .

وكما هو واضح مع القطعة السابقة تبدو ميمونة مثلا فريدا بين النساء المسلمات ولكن الكاتب في صفحات تالية من الرواية يصف الحالة التي عليها الغالبية من نساء المسلمين في أيامه فيقول :

في كل بيت مسلم الملل ثقيل ، والفراغ لدى معشر النساء كبير فليس لدى هؤلاء اللواتي حبسن خلف جدران المنزل في الحياة سوى ما يسمعنه من الرجال . فهن يعشن على القيل والقال ، والحديث ، والإشاعات التي يسمعونها من رجالهم الكرماء ، فعندما يعود " هؤلاء " إلى البيت يصبون في آذانهم بعضا من الحكايات التي هي أشبه بفتات الخبز المتساقط من مائدة قوم كرماء [87] .

* * *

[86] المصدر السابق ، ص . 12 .
[87] المصدر السابق ، ص . 65 – 66 .

وصورة المرأة المسلمة الأنفة الذكر التي تبدو من خلال عيني الرجل تستمر في هذه الرواية ، ولكنها هذه المرة لا تقدم للقارئ من خلال تعليق الراوي ولكنها تظهر في الفعل الدرامي .

وعلى أثر خلاف عائلي غادرت منيرة بطلة الرواية وعمتها عائشة وجدتها ثريا منزل العائلة ، وأقمن في منزل صغير حتى نجح الشيخ محمد طاهر السالف ، وهو من أقارب العائلة الأبعدين وصديق قديم للعائلة في إقناعهن بالانتقال إلى منزله والإقامة بين أهله . وفي المساء جاء فياض وهو نجل الشيخ محمد الأصغر من العزيزية إلى بغداد لزيارة والده في منزله وكان في صحبة فياض ابنه رشيد وهو مراهق متخلف عقليا ويبلغ من العمر سبعة عشر عاما .

وكان في صحبتهما رجلان آخران ، وبعد أن انتهى الرجلان اللذان كانا في صحبة فياض وابنه من العمل الذي قدما من أجله غادرا المنزل ، وعندئذ التفت الشيخ محمد وابنه الأكبر حسن وابنه الأصغر فياض إلى شؤونهم العائلية ، وقد سيطر موضوع النسوة الثلاث اللواتي أتين للإقامة في بيت الشيخ على الحديث بين الرجال الثلاثة ، وقد أبدى فياض اهتماما بالفتاة المراهقة منيرة ، فعلم من أبيه أنها بلغت الرابعة عشرة من عمرها وأنها ليست بارعة الجمال ولكنها كانت تتمتع بقدر لا بأس به من اللطف والرشاقة ، كما علم من أخيه الأكبر عن ذكائها وقد وصفها قائلا : أما فيما يتعلق الأمر بها – فذكاؤها هو جمالها ، إنها مجدة في دراستها كأحد الفتيان " [89] ، وقد ازداد اهتمام فياض بمنيرة وسأل أباه وأخاه إن كان في استطاعته أن يراها ، فأجيب إلى طلبه ومثلت الفتاة بين يديه .

وبعد أن تبادل فياض مع الفتاة بعض الكلمات سمح لمنيرة بالإنصراف بعد ذلك . ثم فاجأ فياض أباه باقتراح غير متوقع ، فقال لأبيه :

---

[89] المصدر السابق ، ص . 56 .

ما رأيك يا أبت .. أليس من الأفضل أن تزوجها لرشيد ؟ فالولد قد أدرك سن البلوغ ، من الممكن أن " يتحرك " ويستقر مع الزواج ، أنا على استعداد لأن أعطيهم ما يطلبون .. حتى لو كان ثمنا غاليا ، أنا أشفق على الفتى. الولد .. إنه يحتاج لذلك [90] .

لم يستحسن الشيخ محمد اقتراح ابنه ، فالأمر ليس بالبساطة التي يراها فياض ، لأن رشيدا لم يكن فتى سويا ولم تكن منيرة بالفتاة العادية ، فتساءل فياض مستغربا : " وما الذي يميزها عن سواها ؟ الفتاة للزواج ، تتزوج هي ، وتنجب أبناء وتصبح هي ابنتنا " [91] . ، وعيل صبر فياض مع والده واتهمه بأنه يكترث لشأن منيرة أكثر مما يكترث لشأن حفيده ، فنفى الشيخ تهمة ابنه عن نفسه ولكنه ذكره في الوقت نفسه بان أهل منيرة يرون ابنتهم أهم من رشيد [92] ، وانتهى الجدل بين فياض ووالده بمقدم إحدى نساء العائلة .

وعلى الرغم من أن فياضا لم يجد الوقت ليناقش الأمر من جديد مع أبيه لانشغاله التام بعمله لم ينس حلمه أبدا ، وها هي ذي الفرصة المناسبة تسنح له ، فقد مات أبوه وشقيقه الأكبر ، واحتل فياض مركز أبيه بوصفه عميداً لعائلته ، وما إن انتهت فترة العزاء حتى أرسل بطلب عائشة ، وبعد تبادل عبارات المجاملة أفصح عميد عائلة السالف الجديد لضيفته عن غرضه من هذا اللقاء .

أراد أن يخطب ابنة أخيها منيرة زوجة لابنه رشيد ، وبعد مقدمة اختيرت كلماتها بعناية واتسمت بأدب جم قالت عائشة لفياض بأنها مجرد عمة ، وإن أمها ليست سوى جدة وليس أي منهما أما لمنيرة ، ولذلك لا تستطيعان أن تتحملا مسئولية اختيار زوج لفتاة يتيمة ، فأعلن فياض على الفور قبوله تحمل مثل هذه المسئولية .

فردت عائشة على فياض بوضوح بأن اختيار زوج المستقبل لمنيرة إنما هو حق لمنيرة وحدها ، تمارسه عندما تكون قادرة على عمل مثل هذا الاختيار ، وعندئذ فرغ

---

[90] المصدر السابق ، نفس الموضع .
[91] المصدر السابق ، ص . 57 .
[92] المصدر السابق ، نفس الموضع .

صبر فياض وأعرب عن استيائه من التعليلات والأسباب التي أبدتها عائشة ، ولم يكتف بهذا فعمد إلى السخرية من تلك المرأة العنيدة وفي محاولة لأهانتها سألها قائلاً :

إذا كانت معرفتك بالفقه عظيمة ، قولي لنا إذاً ، متى تبلغ الفتاة سن الاختيار [93] .

حاولت عائشة عندئذ أن تهدي من ثورة فياض وقالت له في النهاية : " علينا أن ننتظر حتى تبلغ سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة على الأقل " [94] . ، فزادت كلمات عائشة هذه من شدة غضب فياض وجعلته يتمادى في سخريته ، ولكنه عندما تيقن من أن عائشة لن تتنازل مطلقا عن رأيها أخبرها بأنه لم تعد لديه رغبة في الحديث معها ، بل تجاوز الأمر ذلك إلى تذكيرها بالفضل الذي لأسرته عليها حينما عمد إلى الاستشهاد بالمثل العامي القائل : " بيقعدوا بحضننا وبينتفوا بدقننا " [95] ، وبعد أيام قلائل لاحظت عائشة وأمها أن النسوة في العائلة أخذن يعاملنها ببرود ، ثم تطور الأمر إلى معاملتهما معاملة الغرباء ، مما جعل عائشة وأمها تفهمان أن وجودهما في البيت لم يعد مرغوباً فيه وبالفعل تنتقل عائشة وأمها ومنيرة إلى مكان آخر .

* * *

وعلى الرغم من أن صورة المرأة المسلمة كما تبدو ليعنى الرجل هو الموضوع السائد في كتابات بورلا فان موضوع رؤية المرأة لنفسها لم تغب عن ذهن الكاتب ففي قصة " سنونيت ريشونا " يتخذ الموضوع شكل نقاش حول قضية الحجاب بين جيلين مختلفين من النساء المسلمات : منيرة بنت الرابعة عشرة والتي تدرس في مدرسة حديثة من جهة واثنتين من نساء الجيل القديم ، عمتها عائشة وجدتها ثريا .

ويثور النقاش ، أو بالأحرى الجدل ، عندما تبدي منيرة رأيها في مصير النساء في المجتمع المسلم ، فهي تنعي عليهن عبوديتهن للرجل . فترد الجدة بنبرة معتدلة : وماذا تتصورين أنت ؟ ... هذا هو ذا مصيرنا ، وهذه هي روح ديننا .

---

[93] المصدر السابق ، ص . 60 .
[94] المصدر السابق ، نفس الموضع .
[95] المصدر السابق ، ص . 61 .

الإسلام هبة الله ، والقرآن قد انزل إلينا من السماء [96] .

فترد منيرة بأنها لا تحمل الإسلام مسؤولية مكانة المرآة المسلمة في المجتمع ولكنها تنحي باللائمة على الحجاب ، فمن واقع تجربتها ، تشرح منيرة مسئولية الحجاب عن تردي مكانة المرآة في المجتمع المسلم . فتقول منيرة :

الحجاب يخنق المرأة ، انه يخرسها . انه يحط من قدري ، انه يذلني . كلما خرجت مرتديه الحجاب كنت اشعر – كيف اشرح هذا ؟ - كنت اشعر كأنني غريبة بين الناس ، كلصة تتخفى أو بمعنى أصح جرى اخفاؤها [97]

جذبت كلمة منيرة الأخيرة عائشة إلى المناقشة ، فهي لا توافق ابنة أخيها في آرائها حول الحجاب ، فهي ترى في الحجاب عونا للمرأة لا عائقاً في طريقها ، وذلك لأنه يمنحها ميزة رؤية كل ما يدور حولها دون أن تراها الأعين ، وذلك ، في حد ذاته ، من وجهه نظر عائشة ، علامة على الفطنة والذكاء ، ولكن منيرة غير مقتنعة بحجة عمتها وتعتبرها نوعا من خداع النفس ، لأن وضع المرأة الطبيعي في المجتمع هو أن ترى الأخريين وأن يروها ، ولذلك ، فإنها بخروجها محجبة ، تكون قد قبلت أن يسلب منها نصف حياتها ، عندئذ تعود ثريا للمشاركة ثانية في النقاش ، فتتجه إلى حفيدتها في لهجة هي مزيج من السخرية والتوبيخ الخفيف وتتساءل :

وهل تعتبرين حقاً أن اليهوديات والمسيحيات ، أولئك اللواتي يخرجن سافرات فيشغف الرجال بهن وهن يشغفن بهم ؟ كلا الطرفين معرض للوقوع في الخطيئة والعار . ولكننا بالحجاب نكون في منعة من كرامتنا ، وسلوكنا اطهر من سلوكهن وقلوبنا أنقى من قلوبهن ، الإسلام أفضل وأسمى من المسيحية واليهودية [98] ، ولكن الفتاة المتمردة منيرة لا يبدو أنها تلين أمام هذا التقليد الإسلامي الذي أضحي عرفا له قوة القانون . فتقول منيرة :

---

[96] المصدر السابق ، ص . 67 .
[97] المصدر السابق ، نفس الموضع .
[98] المصدر السابق ، ص . 67

" أنظري ، الحجاب ليس مبدأ إسلاميا . لقد سألت وقرأت كثيرا في جرائد مصرية وفي الكتب فأصبحت أدرك أن ليس هناك ذكر لا في القران ولا في الحديث للحجاب . ولذلك ، فأنا أظن أن المرأة المسلمة عندما تخرج محجبة فإنها تحمل نير الاستسلام ، والذل والعزلة " .

والنقاش الدائر بين منيرة وجدتها في القطعة السابقة ليس مجرد جدل بين فتاة شابة متمردة وجدتها من الجيل القديم ، ولكنه في الحقيقة يعكس قضية كبرى في ذلك الوقت ، أعنى بذلك الصراع بين دعاة المحافظة في عدد من الأقطار العربية ، مثل سورية ومصر في بداية القرن الماضي .

* * *

ومن الظواهر التي تتسم بها أعمال بورلا المتأخرة استخدام الأفكار الصوفية أو الشبيهة بها ، خاصة في الأعمال التي تعرف عند مؤرخي الأدب العبري الحديث بـ " قصص دمشق " وأكثر ما تتضح فيه الظاهرة من أعمال بورلا هي القصة " نقتولى آدم (صراعات إنسان) ، وإلى حد ما قصة " ميرانينت " (مغنية) .

فعندما علم أبو طاهر بقصة الحب التي ربطت بين ابنته شفيقة ورحمو والتي أدت في النهاية بعقاب الأخير على أيدي بعض أفراد أسرة مطلق شفيقة ، حزن للأمر حزناً شديداً . بل كان يرى أن ارتباط رحمو بشفيقة أمرا ممكنا لو لم تصب شفيقة بالجنون .

فيقول : قد كان بإمكان الاثنين الذهاب إلى بلد آخر ... وكان الله معهما .. إما أن يسلم هو أو تتهود هي ... ومع ذلك ، فالله هو الذي خلق المسلمين واليهود جميعاً [99]

وعندما سئلت بديعة المعنية ، بطلة قصة " ميرانينت " ، من أحد ضيوفها عن سبب تقديس اليهود ليوم السبت ، أجابت بان ينظر إليه على أنه رمز لليوم السابع من الأسبوع وهو اليوم الذي استراح فيه الرب من العمل ، ولذلك ، فقد أصبحت مراعاة

[99] يهودا بورلا ، نقتولى آدام .

حرمة يوم السبت قانونا عند بني إسرائيل ثم شرعت بديعة تشرح أهميته مثل هذا القانون عند اليهود ، فقالت :

لأنه كيف يمكن لشخص أن يمتاز عن أخر إن لم يكن بممارسة دينه والمحافظة على أحكامه ؟ الناس يتشابهون في كل شيء . في كل شي نحو إخوان . ولكن في الدين وأوامره نختلف ، لأن الله أراد هذا [100] .

وقد تبدوا وجهتا النظر السابقتي الذكر مختلفتين ، ولكنها في الواقع ليستا كذلك . فالواحدة منها مكملة للأخرى . والاختلاف بينها فقط في موضع التوكيد . فعلى الرغم من أن أبا طاهر يعي الفرق بين الإسلام واليهودية ، فهو ما يزال يرى أن كليهما يأتني من مصدر واحد . فكلاهما من عند الله ، وذلك يعني انه لا فرق بين مسلم ويهودي في نظر أبي طاهر ، بينما ينصب نقاش بديعة على الجانب الأخر من القضية . فعلى الرغم من أنها تدرك حقيقة تشابه البشر ، فهي لا تستطيع ان تغفل عن حقيقة أخرى وهي انهم يتبعون أديانا مختلفة فالدين من وجهة نظر بديعة هو الهوية الثقافية التي تميز شخصا عن غيره ، ولكنها في النهاية أيضاً تؤكد على أن الله هو الذي انزل هذه الأديان السماوية وهو الذي أوجد الفروق بينها .

وعلى أية حال ، فالآراء السابقة في اختلاف الأديان وانتهائها إلى أصل واحد يشبه إلى حد كبير رأي الحلاج في هذه القضية . ففي أخبار الحلاج نقرأ عن حادثة جمعت بين رجل يدعى عبدالله بن طاهر الأزدي ويهودي والحلاج .

ويروى عبدالله بن طاهر الأزدي انه كان يجادل يهودياً ذات يوم في سوق بغداد ، واحتدم النقاش بينهما فجرى اللفظ على لسان عبدالله الأزدي فقال لليهودي : يا كلب وتشاء المصادفة أن يمر الحلاج في تلك اللحظة بهما ، فنظر إلى عبدالله مغضباً ووبخه قائلاً : " لا تنبح كلبك " [101] ، ثم مضى لشأنه مسرعا . وما إن انتهى الجدال

---

[100] يهودا بورلا ، ميرانينت (في المجموعة القصصية ، ميرانينت) ص . 75 .
[101] كتاب أخبار الحلاج . اعتنى بنشره وتصحيحه وتعليق الحواشي عليه : ل . ماسينون و ب . كراوس (باريس ، 1936) ص . 7 .

بين عبدالله واليهودي حتى ذهب عبدالله من فوره إلى الحلاج في بيته وأعتذر له عما تفوه به من كلام وقبل الحلاج اعتذار عبدالله بعد إلحاح من الأخير وقال له :

يا بني ، الأديان كلها لله عز وجل . شغل بكل دين طائفة لا اختيارا فيهم بل اختيار عليهم . فمن لام أحدا ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه . وهذا مذهب القدرية و " القدرية مجوس هذه الأمة " وأعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأسام متغايرة والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف . ثم قال :

تفكرت في الأديان جدا محققا

فألفيتها أصلا له شعب جما

فلا تطلبن للمرء دينا فإنه

يصد عن الوصل الوثيق وإنما

يطالبه أصل يعبر عنده

جميع المعالي والمعاني فيفهما [102]

وفي جزء متأخر من رواية " نفتولي آدام " ، نقرأ خطباً طويلة حول ذات الله وصفاته من قبل الشيخ عبد الكريم . ويحاول الشيخ من خلال هذه الخطب أن يعيد إلى قلب رحمو الإيمان بالله الذي بدأ يلقي بتبعة الحادث المأساوي الذي حل به على الله . ويمتد هذا النقاش الذي يشبه خطبة طويلة إلى ما يزيد على الصفحتين في الرواية وفيما يأتي موجزها :

إن الذي جلب عليك هذه المصائب المروعة وسبب لك المرارة والكرب ليس الله ؛ لأن هذه هي أفعال البشر . والله مختلف عن البشر ، فهو لا يكره ولا يحمل ضغينة لأحد أو ينتقم . وهو حي ولكن حياته ليست بروح كالبشر ، وهو غير فان . إنه أزلي إنه خالق الكون وصفاته ليست كصفات البشر . فلا يجوز للمرء أن ينسب إليه مفاهيم مثل : الخير أو الشر ، الصغير أو الكبير ، الماضي أو الحاضر . كل شيء في هذه الدنيا

[102] المصدر السابق ، نفس الموضع .

مخلوق وكل شيء أيضا مصيره للفناء . كل شيء خلق ليفنى . هذا ما نسميه أزليه ، ولكننا مخطئون . هذه هي الحياة ، لأن الأزلية هي ما يبقى إلى الأبد . والله هو الأزل [103] .

ويبدو أن أراء الشيخ عبد الكريم في مسألة الذات الإلهية وصفات الله تتشابه أيضا مع آراء الحلاج . ولعل الاقتباس الآتي يعيننا على تبين ذلك :

وقال أحمد بن فاتك : قال الحلاج : من ظن أن الإلهية تمتزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر . فإن الله تعالى تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم ، فلا يشبههم بوجه من الوجوه ، ولا يشبهونه بشيء من الأشياء . وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث .ومن زعم أن البارئ في مكان أو على مكان أو متصل بمكان أو يتصور على الضمير أو يتخايل في الأوهام أو يدخل تحت صفة ونعت فقد أشرك [105].

والآن وبعد أن استعرضنا في هذا البحث أهم القضايا والموضوعات الدينية التي ارتأى الكاتب يهودا بورلا أن يوظفها في أعماله القصصية نود في نهاية هذا البحث أن نسجل أهم النتائج التي يشير إليها .

---

[103] يهودا بورلا ، نفتولي آدام ، ص .
[105] كتاب أخبار الحلاج ، ص . 47 .

الخاتمـــة

لم تكن معالجة يهودا بورلا لموضوع الدين في أعماله أمرا غريبا ، فقد نشأ في أسرة متدينة محافظة ، كما كانت البيئة الشرقية وبيئة مدينة القدس على وجه الخصوص بيئة يقوم الدين فيها بدور بارز في الحياة . لا يكاد أي عمل من أعمال يهودا بورلا يخلو من موضوع أو مشكلة دينية تعترض بعض أبطال قصصه في مرحلة ما من مراحل حياتهم ، فقد كان بورلا عند معالجته لموضوعاته الدينية يعالج موضوعات وقضايا مألوفة ، وربما كان بعضها ما يتصل به شخصيا . وقد أدى إلى هذه الألفة الشديدة بين الكاتب وموضوعاته الدينية عناصر ثلاثة ، وهي الآتية :

أ- أسرته المتدينة المحافظة التي كان يعبق في محيطها عطر الروحانية ، والتي كانت تضم عددا من رجال الدين البارزين في البيئة الأورشليمية الذين كان لهم الفضل في إلهامه في رسم بعض شخوص قصصه وأبطالها .

ب- التعليم الديني الذي تلقاه منذ نعومة أظفاره حتى بلغ مبلغ الرجال والذي يظهر واضحا في المواضيع ذات الطبيعة الجدلية .

جـ- البيئة الأورشليمية التي كانت تحتضن الطوائف الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلامية وهي البيئة التي التقى فيها بورلا معظم شخوص قصصه .

معظم أبطال يهودا بورلا يصطدمون بالدين في مرحلة ما من مراحل حياتهم ، إلا أن هذا الاصطدام بالدين ليس ناشئا عن دراسة أو تأمل وإنما هو ناشئ عن تعارض رغباتهم الشخصية مع معتقداتهم الدينية . وحين تتأزم الأمور بينهم وبين مجتمعهم نجد معظمهم يلجأ إلى مرجع ديني ، لا لأجل معرفة رأي الدين أو الشرع في هذه المسألة أو تلك ، ولكن أملا في الحصول على فتوى تبيح لهم ما قد حرم عليهم أو تبارك لهم سعيهم في تكليف أنفسهم بالقيام بما هو ليس بفرض عليهم .

حين تعرض يهودا بورلا لبعض القضايا أو الموضوعات ذات الطابع الديني وجدنا أنه تعرض لها بدرجات متفاوتة من الفهم والدراية ، فهو حين وظف بعض

الموضوعات اليهودية في أعماله القصصية لاحظنا أنه تناولها تناول الخبير العارف بتفاصيل موضوعاته ، فاليهودية بالنسبة له هي الدين الذي يعرفه علما وعملا ، وهي كذلك ميراث الآباء والأجداد الذي يشارك فيه الكاتب شخوص قصصه من اليهود .

وأما حين تعرض لموضوعات مسيحية فقد تناول موضوعاته أيضا ، تناول العارف الملم بأطراف الموضوعات سواء في حالتي التعاطف مع المسيحية أو الرفض لها ، وقد أخذ التناول للموضوعات طابع الجدل الفكري الممزوج بالسياسة .

وأما حين تعرض بورلا للحديث عن موضوعات تتصل بالإسلام والمسلمين وجدنا أن تناوله لتلك الموضوعات يبدو مختلفا اختلافا بينا عن تناوله للموضوعين السابقين . فالإسلام الذي صوره في أعماله ليس إسلام العقيدة والشريعة وإنما الإسلام الشعبي . إسلام العادات والتقاليد التي أتيح له أن يتعرف عليها من مخالطته لطائفة من سكان فلسطين من العرب المسلمين الذين كان يقيم بين ظهرانيهم .

ثبت المصادر والمراجع

(أ) الروايات والقصص التي أقيمت عليها هذه الدراسة مرتبة وفقاً لتاريخ النشر :

1. بت تصيون جـ 1 " بميتصار " (تل أبيب ، 1930) ، جـ 2 " كشالون " (تل أبيب ، 1930) ، جـ 3 " هاتحياه " (القسم الأول) ، جـ 4. " هاتحياه " (القسم الثاني) (تل أبيب ، 1931) .
2. إشتوها سنوآه ، في المجموعة القصصية : " إشتوها سنوآه " (تل أبيب ، 1962).
3. بكدوشاه ، في المجموعة القصصية : " نشيم " (تل أبيب ، 1962 " .
4. بلى كوخاف (تل أبيب ، 1962) .
5. لونا ، في المجموعة القصصية : " إشتوها سنوآه " (تل أبيب ، 1962) .
6. معرخوت ، في المجموعة القصصية :" نشيم " (تل أبيب ، 1962) .
7. ميرانينت ، في المجموعة القصصية : " ميرانينت " (تل أبيب ، 1962) .
8. نفتولي آدام (تل أبيب ، 1962) .
9. حازون بطرس في المجموعة القصصية : " لكول هاتصعداه " (رامات جان ، 1965) .

(ب) مراجع تاريخ الأدب والنقد الأدبي :

أ- باللغة العبرية :

1. بن أور ، أ .

توليدوت هاسيفروت هاعفريت بدورينو (تل أبيب ، 1955) .

2. بورلا ، يهودا .

" زخرونوت عل كيفر راحيل " ، في " محنايم "(تل أبيب ، 1962) ، جـ 69 – 73.

3. بورلا ، يهودا .

" ميتولدوتاي " في شلوشاه سيبوريم ، (القدس ، 1964) .

4. بوندي ، روت .

" عشاف متحيل بيريك حداش " في المحلق الأدبي لجريدة دفار . (تل أبيب ، 1968/5/12) .

5. كريتس ، ر .

يهودا بورلا : يلكوط سيبوريم (تل أبيب ، 1975) .

6. كيشيت ، يشورون .

" يهودي هامزراح بسفروتينو " ، في مولاد (تل أبيب) جـ 12 ، العدد : 196-170.

7. ليب ، حاييم .

" يهودا بورلا عل درخي يتصيرتو " (مقابلة صحفية) في جريدة هادوأر (نيويورك ، 1946) ، العدد 5 ، ص 125 .

ب . باللغة الإنجليزية :

1. Domb, Risa :

The Asab in Hebrew Prose 1911 – 1948 (London, 1982) .

(ج) المصادر الدينية اليهودية :

1. Hebrew – English Edition of the Babylonian Talmud, (London, 1989)

2. The Holy Scriptures of the Old testament : Hebrew and English (London) . تاريخ النشر غير مذكور